أيمن سليمان

إنها أنثى ولا تقتل

رواية

obeikan.com

الكتـــــاب: إنها أنثى ولا تقتل

المـؤلــــف: أيمن سليمان

تصميم الغــلاف: كريم آدم

المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقــم الإيـــداع: 2016 / 2904

الترقيــم الدولــي: 2 - 150 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

أيمن سليمان

إنها أنثى ولا تقتل

رواية

obeikan.com

obeikan.com

إلى روحي في جسد أخر

إلى حبيبتي س

obeikan.com

إلى رجُل يدعى عيد ابراهيم عبدالله

كلمة "رجُل" عزيزة في بلدي

obeikan.com

طالما عَثرني هَذا السؤال "ما صوت القلم على الوَرق" ؟!

obeikan.com

obeikan.com

(هـذه كانت النهاية وليست البداية، وإن أردتهـا أن تكون البداية، فيج.....)

"أنت ياعم أنت... هذا عنوانٌ وليس موضوعًا إنشائيًّا... كفاك لَوَثًا."

"احم احم، حسنًا.. حسنًا"

(هذه كانت النهاية)

- هه.. هذه هي إشكالية المُبتدئين.

- نعم ؟.. أتقول شيئًا؟!

- لا لا! أكمِل.

- حسنًا!

(هذه كانت النهاية)

obeikan.com

هذه القصة تُريد أن تَكبر وتَصير حقيقية.

"أنا الأول".. هو أنا الذي يكتب هذا العبث.

"أنا الثاني".. هو أيضًا أنا.

"أنا الثالث".. للأسف هو أنا أيضًا.

كل منهم اسم لشخص مختلف، لذلك عندما يكون المرء ثلاثة سيظل يتسَاءل عن شيء واحد مدى الدرب وهو "من أنا ؟".

نحن الثلاثة نختلف لكن عندما شُوهدنا نفعل هذه القصة قالوا لأننا واحد، وإنني أتصنع الجنون فوضعوا أسلاكًا نحاسية في أطرافي؛ كهربوني وضربوني وقطعوا قطعًا صغيرة من لحم جسدي "يعمع اللحم شكله قبيح دون جلد" وهم يقولون كلمة واحدة "اعترف" وحاليًا أنا في مكان مظلم، معتم، ليليّ.

"خخخخخخخخ تفووو، تبًا لك أيها المعتوه إنها نفس المعاني، بصقوا عليّ وقالوا عني هم الاثنان".

"أنا الثاني" يتقمص دور العاقل، و"أنا الثالث" دائمًا مَرعوب مِني؛ يخافني أكثر مما أخاف أنا الناس والأدميين، لكنه أصيل لا يفارقني.

المهم أنني في مكان مظلم معتم ليليّ من فترة لم أحصِها.

كانت البداية رهان

قِيل

"على ماذا الرهان ؟!"

فرد

"على الخوف"

فسُرد.

"أنا الأول".. كان في محطة مترو الشهداء اتجاه حلوان، دخل عربة القطار يحمل معه حقيبته التي عرف كيف يقحمها من بين بوابة الأمن، مَعجنة بني أدمين، كُلهم رائحة نتنة تشبه رائحة الجيفة في اليوم الخامس من التعفن، قرر "أنا الأول" أن يفعل فِعلاً، ويُحِيي حاسة الموت عند الأحياء، " أنا الثاني" ينظر ويتفرَّس ليفهم نظيره الذي هو "أنا الأول".

"أنا الأول" يتكئ على الباب اليسار لعربة المترو، و"أنا الثاني" يتكئ على الباب اليمين، كلاهما ينظر للآخر في غِلّ..

"أنا الأول" أخرج سيجارة ميريت ودخَّنها في عربة المترو، أشعلها

obeikan.com

وسط الزحام، وزفر وهو يوجه فمه لأعلى، خرج الدخان من فمه على شكل المخروط .

الناس حوله بلا لون، جميعهم أبيض وأسود، بلا طعمٍ كالماء، عُميان ذَوي مُقَل، يَرون ولا يُبصرون.

الدخان له ملمح، والناس صمّاء دون ملْمح.

"أنا الثالث".. صرخ وسط العربة، صرخ وهو بعيد عن "أنا الأول" و"أنا الثاني" كان في آخر العربة من الناحية الأخرى.

الناس ضاقت من الدخان وزعيق المَخبول، الزَحمة والدُخان شيء يُشبه الجَحيم دون " لاڤا ".

أطول الناس وأعرضهم رجل لزجٌ ومخاطي الشخصية، ثخين وثلم، هو من بدأ ثورة الحياة التي بثَّها "أنا الأول" بزفير من ثاني أكسيد الكربون، بين قدمي هذا الرجل طفلته، في التاسعة، تقريبًا ذاهبة في مشوار طويل نحو النضوح والنضوج الأنثوي، غلبانة، وتسّعل جراء الدخان.

- أنت يا بهيم! اطفي السيجارة!

قال الرجُل وهو يقفز فوق كل حاجب على عيونه إبليسيْن صغيريْن

بشوكتهما وذيليهما المعقوفين غضبان كالثور المطعون بالسيف وسط حلقة ماتادور، حتى أصبح تقريبًا شِبه شِرير.

نظرت لـ "أنا الثاني" وشعرت به وهو يترجَّاني أن لا أفعل ما أزعم دائمًا، "طيوب" هذا الفتي، "أكيد ما هو صُنع ليالي".

الغشيم الذي يُدعي "أنا الثالث" يقف هناك الناحية الأخري من عربة المترو خائفًا، يُريد أن يُشتتهم بصياحه وعبثه عني.

نعم أنا هو "أنا الأول".

لطمتُ الرجل الذي شتمني على وجهه "قلم فرْقع"، لم يستوعب الرجل ما فعتله لثوانٍ وظل مُبرقًا عيناه، والناس حولنا خافت مني، لا من جسمي بل من جرأتي، القوم يَهابون الجريء، الغبي الذي هناك في الناحية الاخرى من العربة "أنا الثالث" صرخ زيادة، وجَلَبَ الجَلَبَة في جلبابٍ وارتداها. قرف وزعيق قدَّد آذاننا جميعًا.

الرجل دون مقدمات هَجَم عليَ، وأخذ يلطم عشوائيًا بيديه الاثنين، والناس يتلافونه ويمنعونه عني، وصلنا محطة "أحمد عرابي" والداخلين زحموا على الراكبين، أنا رجعت للخلف بجوار كرسي المعاقين والناس يحاولون تهدئته، خلعت عني ملابسي وصرت عُريانًا كما ولدتني أمي.

أُغلق بَاب عربة المِترو، أخرجت سنجةً مسنونة وفـردًا ناريًا من الحقيبة، الرجل الذي ضربته رآني وأنا عاري ومُمسك بالسنجة والفرد والأهم أنه رأي ملامح وَجهي رأي النِقمة، علم أنني لن أتوانى بعد الآن عن الانتقام من الكائن البشري أيًّا كان، الناس هنا عندهم استعداد كبير أن يتعاركوا مثل الكباش في موسم التزاوج من أجل الكبرياء، لكنهم ليسوا على استعداد للموت من أجل الكرامة.

حَلْقه ازدرد لعابه، رأيت تفاحة أدم وهي تتحرك أمام قصبته الهوائية، ولون وجهه استحال من الأحمر للأصفر الغيور في لحظة، صار وجهه أصفر وسط كل الصورة الأبيض في الأسود، صُراخ "أنا الثالث" في الناحية الأخرى من عربة المترو كان هو الداعم الأكبر، صوت الخوف من بدري سَكّن فيهم الرَعدة، الخوف عدوى، والجُبن وباء أدْهى من الطاعون.

أصبحوا الآن شبه ملونين، الخوف أعطاهم صبغة باهته، صرت أنا في أول العربة عريانًا أصطنع الغل والنقمة ممسك سنجةً، بدون استثناء كل الناس صاروا يتدافعون بعيدًا عني، ما يقارب ال ١٥٠ شخص يتدافعون ويتماحكون أمامي ناحية "أنا الثالث" الذي يصرخ وبدأوا هم أيضًا يصرخون مثله وأنا أقترب، الفتاة الصغيرة تاهت بين أرجل

والدها وأرجل الآخرين، وصلنا محطة "جمال عبد الناصر" كنت حينها جمعتهم تقريبًا في ربع العربة الأخير حد أنهم ركبوا ظهور بعضهم البعض كالديك عندما يُسافِد الدجاجة، الصفارة صفرت والأبواب فُتحت.

كالعادة... الناس عِند الخوف، المبادئ تموت والأولوية تنتفي، تدافعوا وتزاحموا وهم يصرخون كجرذان قذرة، دهسوا بعضهم البعض، وأنا أضحك وأقهقه وأخبط بقدمي من كثرة الضحك، الفتاة الصغيرة بنت الرجل الذي ضربته على قفاه دهسوا رأسها لدرجة أنها تهشمت مثل البطيخة المكسورة، وسيدة علقت قدمها ما بين القطار وما بين الرصيف دهسوها أيضًا، ثلاثمائة قدم تحمل أوزانًا لحمية تدهس وتعجن وتقع وتقوم وتركل وتلكم كل هذا لأجل ماذا ؟! حقًا لا أعلم..

المُهم...الفتاة الصغيرة مَاتت.

انتهت النهاية .... فلنبدأ البداية.

obeikan.com

حين يَقتِل الحُب قَتيلاً لا يَدفنه، بل يَدع الجَميع يَستَنشِقُون الرائحة

obeikan.com

obeikan.com

ليالي

١

كنت أجلس على القهوة.

-خخخخخخ، ياغبي أيجلس أحد على قهوة!، إن كان سيجلس على قهوة أينبغي أن ينام فوق النسكافيه؟! هههههههههههه، كم أنا سخيف، كم أنا سخيف.

-نعم! أنت سخيف فعلاً وغير مُضحك ومشوش، ودعني أكتب في سلام لو سمحت حتى نموت في صمت.

-حسنًا! سأتركك تُكمل، لكن في البداية من يكتب هذا، أنت أم هو أم أنا؟

-اغرب عني يا فلتر سيجارة مُحترقة قَذرة كان يُدخنها غُول بَدين فَمه تَسكنه سوسة عَفنةٌ مِثلك، أووف لا يطاق هذا الغَبي.

كنت أجلس على القهوة، في عَيني كان بَصري يتتبع نفخة بُخار تجتر نفسها من كوب شَاي مُرهَق، لا يراني راءٍ أو مارٌّ من البشر، لكني رُغم

obeikan.com

عن ذلك شائب أنا في عادات هذه الحياة بغرام حرام، أنا حَي لكني نذير الواحد والصفر، أو الفرد والزائد أو النجاسة البكتيرية التي تدعي الوحدة، لذلك لا يراني راءٍ مع أني ظاهر ومعلن مثلي مثل الحِس للعمى.

أجتلس مقعدًا، أتتبع البُخار الناضِح من الكوب الذي أتى من طلبي على قهوة "النخاس"، أنفاسي تتلاقى دائمًا مع ضباب الشاي، فسريرة حَيواتنا نحن الاثنين هو الأحمر القاني. تترك روحي جسدي شبه الحَي لتخاتل أنظار البشر في بِزة بخار الشاي، فيتقمسني سحاب الشاي الصغير الباهت، ويصير البخار ونفسي سحابة واجدة تنتقل على هوى الريح الهف....

حينها تذكرت رؤياي مع ناسك صحاري حينما قال لي وهو يطير بي فوق سحاب أزرق شفاف وأنا فوق ظهره أمسك في عُرفه..

"أترى هذه الأرض المسكونة؟"

على الأرض يقصد، فقلت له:

"أيوه شايفها!"

فرد عليّ قائلاً.

"ضعها في فمك وامضغها لتتوحد معها."

الآن فهمت قصده عندما تحررت من فاهي بركوبي ما كان يدخله من هبْوٍ طائش، أول طابق يعلو القهوة أذهبني إليه بخار الشاي متأرجحًا من طيَّات شيش شباكه، هو طابق "عم عنتر" رجل ليس بعنتر البتة، أراه عندما ينزل كهطول لعاب طفل أرهط.

جلباب مكويٌّ وملفحةٌ صوفية تؤطر عنقه أيضًا مكويَّة، أصلع ولكي يداري صحرائه طَوَّل شعر فَوْده الأيمن جدًا حتى يغطي به صلعته ويثبته في آخر الفود الثاني بفازلين لَبِد، رائحة الكلونيا الخمس خمسات الفجة تلعن جيوبي الأنفية من فظاظتها.

دائمًا يجلس واضعًا قدمًا على قدم معتقدًا بجدية نفسه "سي سيد" يطلب شاي وشيشة بقرف من "حمامة" صبي القهوة، وينتظر أصدقائه ليلعبون الطاولة وهم يتكلمون عن الأحوال والبلد والحكومة و.. و.. وبقية الأشياء التي ينمون عليها عواجز الذكور المُحالة لهَرمة ما قبل الموت.

تزوج كثيرًا وطلق كثيرًا ومِسك الختام فتاة عشرينية اسمها "ليالي" التي بالفعل قضيت معها أحلي الليالي، فأنا وحيدٌ لكني جميل جداً.

"عنتر" يسقط من شقته ليتمجلس يشرب شيشته، كانت "ليالي"

تتصل بي هاتفيًا لتستجيب حالتي تلقائيا إلى نداء الغريزة معها، مرة تقابلني مثلما سقطت من رحم أمها دون ستر إلا الحاجة والدافع، ومرة تقابلني منتقبة بدانتيل شفاف بالكامل وتتفوَّة بغنج حواء لحظة إقناع آدم بالسقوط وهي تعض على شِفتها السُفلى.

"أنا مش لابسه حاجة من تحت"

كانت تحكي لي دائمًا أنها تعشقني، وتريد أن تتزوجني بعدما يموت عنتر وتَرثُه...

"بعد ما يموت عنتر الشقة والفلوس هايبقوا بتوعي، ساعتها تتجوزني وتتحكم في كل حاجة براحتك، حتى أنا."

ثم تبتسم بدلال.

أنا لست بخائن، هي صَهْباء مُعتقةٌ، تُريد من يَمتطيها لتموء كالسنورة، وبالطبع هي لن تقبل أقل من فارس ليحكم اللجام على فخذيها، جميع النساء تعشق الفارس، جميل وقوي، لديها "عنتر" هي تَمتطيه كالحمار الهُردبة وهو يُهرول بإحليل اللذة نحو الأنوثة، فتَتنافر أنوثتها مع أنوثة رجُلها، هي أيضًا ليست خائنة، فالخيانة لا تحدث إلا عندما يكونا قد تعاهدا على شيء لكنهما لم يفعلا بل تعاقدا على زيجة، فعاهَدَت هي بديل يضرب فرجها بالحديد، ويجعلها خجلة كالزهرة المغلقة مثلما

تفعل نظراتي لها.

عين رمادية تقطن محجري جُمجتي، تكفي نظرة منها بشدة من أمامي سواء ذكرًا أم أنثي أم قطة أم غرابًا، العين الرمادية هي أخبث العيون، عين دجالة، وسيعة كالواحة، رموش ثقيلة كجناحي صقر صحراوي تُهِل مقلتي بخصوصية أمقتها فيَ، فأنا مَن كره نفسه أكثر مِن الإسخريوطي.

أطوف في رحاب شقتها وأنا ذرات من الروح أراها تتصل بهاتفي أسفل نافذتها، أدخل وتفتح لي وهي تبكي ملذوذة في حضني بدراما فيلم عربي قديم يقدر المشاعر وحموتها، أراني احتضنها بدون كلام كعادتي، أحيانًا أشعر أنها تحب ذلك وأحيانًا أرقب أنها تكرهني لأجل قلة كلماتي معها، في كل الأحول لا يعنيني إلا لحم خلفها ودُهن أمامها، ولا أحتسب لمشاعرها لدي أكثر من ١٪ من احترام، وهذا من ضمن ما أكرهني من أجله، إنني مُختل عاطفيًا.

"المجانين مهما فعلوا سيدخلون الجنة، لا تخف"

"اخرس ياحيوان لا تقاطعني."

وأحيانًا أشعر إن هذا يعجبها. أني أؤذيها، أجعلها غير واثقة في نفسها، وغير مرغوب في التواصل العاطفي معها، أعاملها كدمية لدنة ذات بشعر مسترسل وملامح طفولية لا أكثر ولا أقل، هذا معروف وربما

يكون غير معروف، أن جزءًا من الجاذبية أن تعامل الآخر بفظاظة وتجاهل، فهذا سيجعل عنده لك احترام لتلبية طلباتك حتى تُشبَع غريزته في الإعجاب التي تقاومها أنت بطردك إياه من حياتك.

الغُموض دَومًا جَذاب، لذلك هي تَعشقني لَيس لِشئ إلا لأنها تريد أن تستخدم جسدها في المَعرفة، مثلما أقنعت دليلة شمشون بجودة الضعف وقيمة القيود عن طريق دفء لبن يقطر من حلمتي ثدييها، تُريد ليالي أن تُثبت لنفسها أن أنوثتها تُذلل دواخل الظلمة لرجال المعرفة، وعندما تنول ذلك ستغربني كالجَرو الأجرب وحيدا بزيل مكسور.

هي تُريدني أن أعجب بها، نعم هذا حقها؛ فهي حلوة ولذيذة مثل ثمرة مانجو عويسي، تُريد أن تُشبِع عَبث كِبرياء أنوثتها المتفشية في مَحارم عبق جسدها، ولو أتوا رجال العالم كلهم ليقربنوا لُهاثهم عليها بالطريقة التي تريد هي ستظل تنتظر في المعبد هذا الذي لم يُعجب بعد بها آنه القربان والتقدمة الأحلي، " إنها الأنثي".

الأذى للبعض شَرَك تكسب به اهتمامهم، لكني في الأخير لا أهتم بها من الأساس؛ فهي من تطلبني وهي من تحتاجني أكثر من أني أحتاجها، تمتصني مثل اللُّعاب عند الجوع، أنا العوبة في لب عقلها.

أنا قذر، هي إنسان، أنا مريض، لا اتزان لدي في بَر عقل أكله الدود من الفكر والعزق الإيهامي للفلسفة الأحادية التي أعانيها من حديث النفس.

- ما هذا العبث الذي أتلوه؟!

- لأنك فزلوك.

- يابني اخرس يابني، دعني أكمل أم السرد.

- لا تلُمني أنا، فأنت من فصلت وكلمت نفسك ياحيوان، قلت لك اكتبها بصيغة الراوي العليم لم تتبع كلامي.. ما علينا، أكمل لكن لا تتفزلك، لا تكتب جُمَلاً يحتاج من يقرأ خمس مرات ليخمن في الأخير معناها، لا تنسي أني جزء منها شئت أم أبيت، أنا جزء ولي رأي مثلك.

-افففففف، اللهم طولك ياروح!

تشكو غضبها بسُعال عينيها على كتفي، ألتف حولها بسواعد الهمة لأطيب الزيف الدمعي بالزيف الحِضني.

أم حبها حب لائق وحقيقي وزيفي، أنا هو الخنجر الذي أخاف به طعني لتجرحني حقيقتي؟

إني لا أعلم هل لتصديق هواها ظُلم ظلماتي وعبثي وشخصي الذي أنا أكرهه، فأراها كاذبة ودرامية، هل لتحمُّلها قدر السوء هذا مني، أراها مُرائية ولا تحبني فعلاً؟

تعشق كونها مازوخية في كنفي بظلمي العتيد لها في حضرتي التي تتلهف لحسة من عسلها كالدبة الهوجاء في موسم التزاوج.

أنحو هذا الجحيم أرْنو كالطيف الغامق من همهمات تعلن عن سوئي لحد القرف والتقزز؟

أنا أقزز أنا.

ولا أرحم، أنا مجنونٌ وأستحق الفناء.

تتنهنه على صدري بنعومة قطة شيراز بيضاء تتمطع بعد مواءة مياسة، شاكية طفاحة زوجها المكهون بتطليقها لبوار رحمها عن حبل بوريث للبيت بما أنه صاحب كل البيت، تنتحب كالطفلة المزعجة في أذن الرجل الذي سيُضاجع حياء رحمها الذي هو "أنا".. أن زوجها سيطلقها.

أيًّا كان، إنها لا تعنيني، وأنا لا أهتم لها، ولكن أفلا لديها قليل من الإحترام أن تفهم أن الرجل لا يرتضي استحضار أي شبه للذكورة في

وجوده حتى لو كنت عشيقها وهو الزوج، إنها الغيرة الذكورية وليس التملك، لا يجب أن تذكر أنثى ذكرًا أمام ذكر آخر يُضاجعها، فلتذهبا أنتما الاثنين إلى الجحيم يا أولاد الغنم العفن.

نعم أنا أناني.

"هايطلقني الوسخ ابن الكلب وهو بتاعه مبيقفش أساسًا، قال عشان عايز وريث الوسخ زهق مني أنا اللي مستحملة عفنه سنين شبابي، يرضيك يا يحيىَ.. إهئ إهئ"

تريد أن تستطعفني بنطق اسمي من لثمها المكنوز بالشهوة، وهي تستخدم هذه ال "إهئ أهئ" بإتقان لاعبة جمباز صينية.

حية هي، أفعى بل وأحيانًا لبؤة.

أريد أن أقسمها إلى شطرين، وألعق بينهما بسنوات شبابي على عرش مملوكي قديم يحوي جسمها العاتي، لكني لن أفعل بل سأكتفي بإشعال بركانها الكامن بين وركيها، سأحتويها لأشعرها بالأمان، سأحتضنها بين ضلوعي بكل صمت وعضلات مشدودة، أغبياء هُن النساء، إثارتهن في بوتقة أمانهن، يشعرن بالطمأنينة فينطلقن نحو الفكاك من الدنيا إلى فردوس الاحتكاك واللمس، مريض الذي قال أنهن يعشقن من آذانهن، لم أتكلم مع امرأة ضاجعتها في حياتي، والحقيقة أنهن جميعًا

نالوا مني ما لم ينله سليمان في عرشه من سريرة وشبع.

سَحَت دموعها على في الحضن فنولتها المشاركة الوجدانية وشعوري بالأسى بنظرة من عيني احترمت فيها وجعها.

صعد عنتر سلالم بيته، وأنا بالداخل على مبيته أعتلي نديدة حفيدته في فراشه، أعلم أنه آتٍ، "ليالي، حِتة الفرولاية" لا تعلم شيئًا إلا أنها حيوانة على الأربع موطؤة في غابة وملك الغابة "يُعشِرّها" في موسمها اليومي.

هذه هي قُدسيتها، وهذا هو محراب الفتاة الشابة عندما تَمتهن دور الخليلة في لُباس الزَوجة لرَجُل مُسن ترى أنها تستحق أجمل منه، على الرغم أن الساتر الجلدي إذا مزقته من وجهيهما هم الاثنان سيصيران في البشع واحد، تبا لخرائط جلد الوجه لدى النساء الجميلات، فقط التاريخ يعلم معضلة جمال وجه الأنثى والحروب.

الرجل يصعد السلالم على مهل كقندس كهل عليل، يضع مفتاح في قفل يفتح بابه، أنا وهي سمعنا صوت فتح الباب لكنها لم تتوقف، وبالتالي أنا لم أتوقف، الرجال عندما يجدون النساء شبقات لا يتوقفون أبداً، فقط كل ما توقف هو صوت آنينها.

كنت أشعر بعبوديتها وحرارتها أسفل جسمي، أري عينيها مغمضتان

تتلوان صلاة الآهات والأح، لا تدرك الواقع، إنها أسيرةً داخل فترة خارج الزمن، ألزمتها أن لا تفعل شيئاً غير هذا الذي يجعلها تشعر بما يغز رمحًا داخل قُمقُم مُتعتها وأنانيتها.

خطاوي أقدامه كانت تسمعها، لكنها من أجل ما تشعر باعت الخجل في سوق المتعة.

دخل حينها زوجها علينا في الغرفة، وهي وأنا أيضًا لم نتوقف حتى نأتي بثمر الشبق من أسيل وماء اللبن الرمادي.

عيناه تنظران...

لا.. بل عيناه كانتا تموتان، نعم تموتان ببطء رغم أن النظرات استمرت ثوانٍ، لكن الزمن في المشاعر غير فعال.. فقط شعرت وأنا أركب مؤخرتها أمامه أن دموع عينيه مضطربة وعائمة لا تعلم تَقفز الآن أم تنتظر رجولته في كبح ماخور أحزانه.

صوت المرأة لعّلع بالرعشة من بعد الافتضاح أمام زوجها، فهي حينها كانت مثل الزئبق ما بين المادة واللامادة لا تَستَعْيب ولا تَستَعِيب، بل تنتشي بغشامة تهزها بالسعادة اللا متناهية التي طالما احتلم هو أن يقدم مثلها.

- الأخرس؟ مع الأخرس يا شرموطة!

لماذا الإهانة؟ ليس عيبٌ أن تُضاجع زوجتك أخرسًا، هل إن ضاجعت شخصًا يثرثر "كاللتاتة" كان سيخفف ذلك ألمك أيها الأخرق؟ مجرد أن تطلق عليَ هذا سأتجاهله لو كان في سياق الهزل لكنك قلت ذلك بلهجة تحقير.

اللهجة سر المشاعر الدفينة التي يُكنُّها البشر بعضهم لبعض.

احتقاره لي استفذني.

تبًا! ليس الآن أيها الدوار الملعون، أنا أحتاج أن أكون واعيًا.

الغريب أنني لم أتوقف رغم كل شيء، كنت أرد على قذفه لي بقذفي داخل زوجته، أهينه على مهل وكأنه خروفٌ مرذولٌ يُراقب التيوس وهم يسافدون نعجته مُطلطلين ألسنتهم خَارج أفواههم للمُتعة والغيظ.

يداه ترتعشان كغصن مكسور مُخَلخَل يَرطمه الهَواء ليَزيد أوجاعُه، بل أطرافه جَميعًا تَجننت، وأصبح كالمَعتوه يَنظر، ولُعابه سَال على مَضيق شفتاه والغَريب أني رأيت عِضوه مُنتصبًا من تحت الجلباب... تبًا لي!

أنا إن كنت إبليس ذاته لم أكن سأصل لكل هذا الأذى الذي أشعر به يَنخُر في نفس هذا الرجُل المُنتَهَك، فهو يَرى ما يجول في خيالاته يحيا

دمًا ولحمًا بمن امتلكها جسدًا مع رجُل آخر يَراه يَوميًا بِجواره لحيظات ومِن ثم يَختفي، أكاد أُقسم أنه كان يَعد كَم الأيام التي رآني فيها ومن ثم اختفيت، ويتخيل الأرقام وكميتها ويضع نفس المشهد الذي يراه الآن بجانبهم من بعدها.

تبًا مرة أخرى! فهو الآن مجنون؛ عقله كالعاصفة المجذوبة وسط أساطيل من موج مجحف، يستحيل أن يحتمل ما نفعله به، وكنت أشعر بها أيضًا وهي تنظر له وتبتسم إبتسامة شامتة مع كل أنينٍ زانٍ تطلقه، تبًا لنا! أنا الآن فهمت كيف تتكاثر الشياطين.

فقد استفرغته الهوجاء من طفح المرار، الدوار والدوخة كالعادة تملكاني في زمن خاسر، الرجل أخيرًا استفاق من خَيالاته المَوبوشة ولم يَقترب مِني لأني ببصقة سألصقه على الجدار كأيقونة شائخة وهو يَعلم ذلك، بل هَجم على شعر الفتاة وشدها ليخلعها من حوضي ابن الكلب، ألا تقدر أن تصبر خمس ثوانٍ أخرى فقط أيها المعتوه حتى أُفرز في جَوفها روحي فأنت في كل الأحوال مَيتٌ.

"دعني يا أخي أُولد، حبكت يعني؟!".

صرخت الفتاة صرخة مبتورة، الدوار حنقني وأمعضني، يجز شعرها ببُغضة وهو ينعر بغضب.

إله خانته فينوس مع عبد زنجي أفطس المِنخار، يسحلها يمينًا ويسارًا من شعرها بقوة، فهي مهما كانت "ليالي"، الكائن الطري، البض، التي قمة إثارتها تكمن في مياستها ودلال روحها.

إذا هجمتُ عليه لن أتركه قبل أن تذبل انفاسه بين يدي، وهذا ما لا أريده ولا سيما أن الدوار غشاني، ويجب أن أنطلق نحو شقتي في الطابق الرابع استعدادًا لفقدان وعي، فتركته يُهاترها وهي بالكاد تَلطمه مثل القِطط وهي عريانة.

شرعت أرتدي ثِيابي بهدوء خَلفهما وهما يَتشاجران ويَتزاعقان، لم تستنجد بي الفتاة بل كانت مُصِرة أنها تقدر على هذا الكَهل بمفردها، فهي ستظل هكذا حتى يصيبه التعب والوهن سريعًا، وستنتقم هي كالعادة منه بضربه "بالشبشب" وركله بالقدم وإهانته على قفى عنقه مثل العبيد، لم أبالِ بهما هم الاثنان، بل أشعلت سيجارة خلفهما وغازلت خصرها بين أصابعي ثم قبلتها قبلة طويلة وجلست خلفهما على مقعد "التسريحة" أزفر قبلتي من فم السيجارة، وأنا أشد رباط حذائي حتى أَنْطَلِق بعيدًا عن هذا العبث الوجودي.

يعني قال إن ضربه لها وشتمه سيحل الإشكال، الخيانة هي الخيانة يا حيوان وهي خانتك من داخلها قبل خارجها، وأنت قبلت هذا عندما

قالت لك إنها تكرهك لكنك لم تقبل أنها تعطي جسدها لآخر، صدقني ياحمار الأولى أنكى من الثانية.

السيجارة في فمي أمتصها فتعشقني، وأنا أسمع صوتهما وهما يتضاربان مثل طفلين في روضة حضانة، ربطت الحذاء وهندمت ملابسي، ثم نظرت إلى الفتاة وقلت لها، وأنا أخرج دخان السيجارة كالتنين من أنفي:

"عايزة حاجة ياليالي؟!"

فنظر عنتر وهو يلهث وينهق من التعب إليَ نظرة مستغربة ما فعلت كأني خامس المستحيلات، هذا الرجل درامي جدًا في نظراته ومتأثر جدًا ببحلقة "عبد الوارث عسر" في أدوار شره القليلة، وهو يحملق بجدية مفرطة ورعشة بسيطة تغزُ فكه السفلي، تُوحي بفاجعة الفاجعة التي يراها في الحين، (فيلم هندي)، لا أنكر أني كنت أسيطر على ضحكي بصعوبة، وهو ينظر لي هذه النظرة التمثيلية المملة الطويلة التي انتظرت بعدها ما يقارب العشر ثواني حتى أردف.

"إنت كمان ليك عين تتكلم يا أخرس!"

حينما قال هذه الجملة لم أتمالك نفسي، بل هدرت مني ضحكة ساخرة هدمت كل الطقس الدرامي الذي كان يُحَضرني هو إياه منتظرًا مني أن

أواجهه برد فعل درامي ورتيب مثل فعله، لكني لم أفعل بل ضحكت رغمًا عني وعدلت ظهري عنه وهممت أن أخرج لأتركه هو مع ليالي يُكملان شجار ميكي ماوس الخاص بهما...

تجاهلي إياه استفزه أكثر، جعل منه بركاناً خاملاً أعلن عن حموه في غضب، فأسرع إليَ وأمسك ملابسي هابشًا إياي بلطمات سريعة أضعف من همهمات صرصور.

تعلق في جسدي ابن الهرمة كالعلقة، وهو يزعق ويلطم ويشتم ويسب، كان مختلًّا ومَجذوبًا والدوار أيضًا هجم عليَ ليمنحني غضبًا أعظم، حتى أتخلص من هذه الليلة الحقيرة، أمسكته بسهولة كأنه خرقة بالية ولطمته فلطمني، أزحته بعيدًا عني وأسرعت لأخرج، فقام وأمسكني، كان مصممًا أن يكبش عنقي ويخنقني، ومهما كان ضعيفًا فإن الأمر مُحَنِق ومستفز، غضبي آتٍ عليه، على الرغم من أن غضبي لم أسمع عن قدومه منذ فترة، أمسكته وأمسكت إحدى وسادات "الأنتريه" وضعتها على وجهه وهو أسفل مني، وأنا جالس على جسده النحيل مُثقلًا إياه لئلا يتحرك.

الدوار لم يرحمني، وشعرت أنه سيغمى عليَ حينها فضغطتُ أكثر على وجهه لأتخلص منه قبل أن ينال مني وأنا فاقد الوعي، آخر ما كنت أتذكره أنه كان يطلق أنينًا مثل أنين الفأر، وكفاه تُضاربان الهواء

ملتمسًا منجدًا أو إلهًا يأخذ بيده في ليلة الظلم هذه.

"في يوم من الأيام رأيت فأرًا يرتع كالخروف الضال في غرفتي، أغلقت الباب، غرفتي لا تحتوي إلا على سرير ودولاب، والاثنان خشبهما للأرض ساكن، ما بين الدولاب وأحد الحوائط ارتكن الفأر مذعورًا يُحاول أن يتسلق الحائط لكن الحائط أملسٌ، سمع حذائي فارتجف وارتعب وأخذ يقفز على الحائط وهو يطلق نميمًا حادًّا، داعبته بحذائي وهو يقفز ليطمئن، لكنه علم ما في قلبي أني لا أحب المتطفلين، مقدمة كعب حذائي وضعتها على عنقه كالسطور، ولم أضغط بكل قوة قدمي بل بتأني أخذت أضغط تدريجيًا على عنقه وأنا أسمع نميمه صارخًا، أخذ الأمر تقريبًا دقيقتين أو أقل، وأنا أرى انتفاضاته المتكررة حتى ارتخت أعضاءه بسلاسة فاقدًا حياته بكل روعة اكتسابها، لم يلفت انتباهي في قتله إلا آخر خمس عشرة ثانية، حين كان ما بين قد تأكد أنه فقد حياته وما بين تشنجات أوصاله توحي بالقتال لأجل هذه الحياة التي سيفقدها وهو يعلم ذلك"

هكذا كان عنتر ويداه في الهواء تداعب خِصر الأرواح وتجذب لُحىَ الأشباح فاقدًا معهم جسده ليرتقي درجة إلى مرتبة اللامادة.

آخر شيء أتذكره هو أنني كنت أقتل فيه.

*****

obeikan.com

وصف رجل حكيم، قديم، عظيم، عقيم أن "الأحلام هي بُراز العقل" فلا تجعل حياتك مُعلقة على هُراء

obeikan.com

obeikan.com

حلم الإغماءة الأخيرة

٢

كنت في المقطم، رأيت شَيخ طريقة يتَراقص، يتغنج ويتلوى من عِند حقويه ووسطه مثل الغَواني، يَذر لفظات وكلمات مُهَمهَمة من خطمٍ هَيفان.

ورأيت أسفله امَرؤ مَسلول بالمرض تَحت قدميه الشَقيتان، تُراب وجَبل، سَراب وظَلام، عِكشة خَشب مُضرمة بنار تضيء ليلاً أمـردًا بجلل عظيم.

قال لي الناسك إن التفصيلة في الفراغ تكون بطلة لوحدتها، وحينما تتزاحم وتصبح وسط جلجلة تفاصيل لتبني شيئاً أكبر يضيع حقها هباءً وكأنها عالة، هكذا هو ضوء النار في الظلام الدامس يكون مثل التفصيلة الوحيدة.

أنفاس هذا الرجل المريض تَتسارع مثل ركض الخيول، تتَنفخ أوْداج صَدره كالمِنطاد الذي يشهق الحُرية والإقـلاع بابتلاع ذَرات الهَواء

الحرانة بشَراهة، ثم يتفاجأ أن هَناك زَفيرًا يَشعر في كل مرة يُطلقه أنه الأخير؟

الشِيخ وَلهان في بَلد الإبتهال، فرحان بالصلوة والترنيمة، لِحيته مُرسلة لِحد صُرته ولا يَرتدي شيئًا إلا جِلده على عظامه.

عَاري والعَرق يُشلل على كُثبان تجاعيده، يَنفُر من مَسامه كَجداول غريرةٌ تَرسم عَلى جَسده خَريطة الإستعفاء، يَستهل بالدعاء ثم يختم بالاهتزاز والزعاق وما بين البين يتشَنج لأجل مَريضه المنكوب من تحت قدميه بعللٍ.

المُعاناة تَخرج من فم الرجُل المريض المَسلول كأعازيف بِلاد الجوعى، مُرعبةٌ، الألم مُرعب ومُرهب، عِندما يَراه الأصِحاء يَفرون كالهِررة من خبط قَدم، فإما يُحرك عاطِفتك وإما يُحرك خَطايا خَوفك المُدنسة لجَوف مُتخم من الراحة.

هذا الرجُل المريض يتَعنَف بِهزات الشَيخ حُوله فَينعر الشَيخ ويشَحر ويتَقلص ثم يَتمدد والمريض بجواره مُسفَل يَرى دُخانًا يَعلوه، ورَجلاً مُخيف يَفعل ما لَم يَره من تحرُك لإنسان وكَأنه يَطلُب العَفو عَنه بِهذه الترنيمة الحركية التي ترعب ثم تطمئن ككفّ الجبار حينما تحنو على أرملة.

أنا أولد بينهم ألف ولادة في دخان النار أراهم ولا يروننني، أتلاشى كبدئ الخلق ثم أولد كنهاية التلاشي، أتفكك ثم أتجمع مثل النُطَف، أموت ثم أعيش، أعيش مثلما يُريد أن يعيش المَريض، مُعافًا وجَيدًا للخَطو والتَكلم، للنِكاح والتَعلم، فليست حياة دون جسد يقودها.

سَأكتب ما أراه في سِفر مِن خِراء حتى لا يَقرأه غيري، ولا يَدنوا من روحي إلا تقديري لذاتي أسيرة الكِبر والغَر، فالخراء هو الحَقيقة الوَحيدة المُقنعة للعَقلانية الجَريئة في هذا العَالم الظاهري، ينقعون الوجوه، يصففون النتف، ينفخون العطور، يرتدون موت حيوات أدنى فقط ليدارون عن الآخرين حقيقة أنهم خراء.

على ما أظن أن هذا الرجل المريض هو أنا، هل المرض صعب هكذا، قالوا إن الألم النفسي هو الأعتى، لكن ما أراه هذا الحين يُصيب النَفس والروح بالعَطن الفَوري.

ألم الجَسد كفيلٌ جدًا أن يَجعل من نَفسية الإنسان مَزبلة خَواطر قذرة، حتى ولو في الحُلم.

على الأقل إن كان ألم النفس شريرًا، فمن الممكن أن النسيان يُداوى بالتدريج المُمِل، أما هؤلاء المتألمون جسديًا فبالفعل لا عَزاء لهُم ولا مُعين، إلا الانفصال عن الشعور، فهم فقط يفكرون في اختيار

مِن اثنين إما موت الإحساس للأبد، والذي يتمثل أحيانًا في خاطرة الإنتحار، وإما الصبر حتى ينفذ الصبر ليواجه الاختيار الأول في كل الأحوال، إنه وجع الكيان الحامل للنفس الذي هو الجسد وضربه يساوي ضرب الأساس.

فكرت حينها مَن سمح للفيروسات والبكتريا بفعل هذا في الأجسام؛ فجاوبت وقلت إنني بالنسبة للأرض ليس إلا بكتريا، كل صغير بالنسبة لكبير يُساوي بَكتريا؛ هذا هو القانون.

أنا الآن أحتلم كالعادة، بعد كل إغماءة أنتقل من حياة إلى أخرى كالغراب المنبوذ، أطوف من نُقطة لنقطة من بين العوالم، والأخطار كُلها تَنبت دَاخل كَياني كَأني صَخرة وزرعوها غصبًا، جسدي في الحقيقة هو داخل عقلي لا العكس.

حتى الآن أعيش ولا أعلم أين مستقري، أنا في أي عالم من هؤلاء أعيش؟ في جميعهم أحيا وفي جميعهم أموت، أنتقل بين الحلم والحلم كأني أُختَطَفُ من جاثومٍ بشعٍ يشبه إبليسَ.

لَحمي مِطواع لأي مكان يَرسوا عِنده وَعي الجارف، فمراكز الإحساس في المخ تكمن، والحالم يَعشق ويَستمني ويَلتاع ويُلدغ ويَسقط ويتعَري وهو مشلول على حفنة قطن عفنة، أما أنا فلا، لا أحد يعلم مُعاناة عَدم

الإستقرار مثلي، تكون كالطائر يوم فيضان نوح؛ تظل ترنو نحو بُرضَة من أي وَحل، ولا تَجد أسفلك إلا قَطرات مَاء تَرفع نَحو السَماء رَبها، ليموت العَبد يَوم الحِساب، هذا هو السَفر بين الحَياوات عِندما يَغيب اليقين عن كل شيء حولك بسبب التغيير المستمر.

يَدنوا الشَيخ من المَريض، صَلاة التصوف ارتجالية كاللحن المنفرد وسط رنين جوقة آلات وَتَرية، كِنانتها قلبٌ نابض بالحُب نَحو الإله، قَلب جَاهل بالقَول والفِعل لكنه عليم بالحُب، قَلبُ طِفل صافٍ، هذا هو ارتجال الصَلاة.

الرجل المريض مُمَرر وأشعر أنا بمرارة ألمه لأني أسكنه ويسكنني كاللّحاء في الساق الأخضر، الهواء ناعم مثل يد طفلة، والوجع في سُل صدره مثل ثور يَنطح، الشيخ صار نورًا ونتئ له في ظهره أجنحة مخلوقة من الماسات خضراء، أضحى شبه مُرسَل بعدما كان للابتهال مُرسِل.

ما بين الملاك والإنسان هذا هو الرسول.

أخذ المريض على هدى بين يديه، رفعه كأنه طفل استسلم ليد أبيه من بعد غفوة السهر، بدأ الجناحان يرفرفان ببطء، عفّر التراب صانعًا حولهما هالة من الشجن، فيها دموع الشيخ ارتخت على جسد المريض وهو يرتفع عن الأرض ببطء دون أن يتحرك فيه إلا جناحاه كرستاليًّا

الشكل، دموع الشيخ وهو يرتفع زادت كهجرة سرب من الطنان، كان حزينًا بشدة على المريض، برغم كل ما فعله من أجله ولكن رَحمة الألم جُهِضَت في رَحِم القسوة، بدأت الأصوات تتعالى نذير إتيان دخيل، والقادم كان شرير، والشر مخيف مثله مثل البشاعة، كلاهما يُسرب الرَهبة والقَرف داخل النُفوس، لذلك كل شِرير بَشع حتى إن كان بديعًا كالأنوثة.

كان الدخيل جَمعًا من نفس شاكلة الشَيخ المُستَحَال إلا أن أجَنحَتهُم كانت حَمراء، لَيست خَضراء كالشيخ، ويقطر منها الدم كأنها نافورة تجترُّ عوادم المذابح وسط بركة حمراء، كانوا أشباه شياطين.

وما بين الشيطان والإنسان هذا هو الشرير.

احتالوا حول الشيخ وهو يرتفع بالمريض، أخرجوا سيوفًا غمدها كانت سيقانهم، سيوفًا عظمية حادة من طرف والآخر مثلوم للتعذيب، رفع المريض يده وهو على أيادي الملاك، وبها ريشة تقطر حبرًا أسود، وبدأ يكتب بالريشة على الهواء والهواء أصبح كالصفحة طائعًا للمكتوب وظاهرًا.

"يَجوب حَول ذَاته، رأس تَدور حَول جِذعها كَبومة، حِيرة الجَهل مِثل المَخَاض المُتعثر، هو لا يَعلم، ويُريد أن يَعلم، ولكنه لا يَعلم

كيف يَعلم، وسَيظل هَكذا يَدور ثم يَدور حَول ذاته مُعتقدًا أن حُدود المَعرِفة هي حُدود البَصر ليموت في الأخير جَسده وتَظل رَأسه فَوق حَيرة المَوات تَدور كالبومة مائة وثمانون درجة."

الأخرون لم يستغربوا بل طاروا كاليعسوب حوله هو وشيخه، وحول الكلمات المنثورة حولهم في هدوء وسكينة رتيبة تكاد تقتل، يجهزون الخوف على السلق لا الشواء فيصير العذاب طائبًا، مشبعًا لسد حاجة الشر، أحدهم اقترب بوجهه الطبيعي وجه إنسان نضر، ويكاد يكون جميلاً أيضًا لكنه ينضح كراهية كئيبة، نظرة سوداوية تقتل القلب على مهل وترف، ونظر في عين الرجل المسلول وهو يحرك عينيه بين وجه المسلول، وبين الكلمات التي خدشها بالريشة المحبورة، وقال له:

"قل لنا من أنت وسنتركك في سلام"

رفرف الشيخ بجناحية العظيمين في الهواء الطلق كعلامة وجود ووجه حروفه للقائل.

"إنه وليد حشاي، ابن بطني، حبلتني به العاطفة، جامعني به الوجع في عقلي، جبلته وجبلني كالطين والجيفة خليقة وفناء، إنه الروح المنثورة على ضفاف اللهب تتعذب وتنمو بتجرع الإلتهاب ملتذة، إنه الألم كما ترى يا أنت، إنه أنت."

دون إنذار... أحد السيوف شجَّت الشيخ والمريض.

*****

obeikan.com

الوحدة كائنٌ حيٌّ، يتنفسُ ببطءٍ وصمتٍ ورتابة.

obeikan.com

obeikan.com

الوحدة

٣

انتهرت شخرة كانت تقف حائل بين رئتيّ وذر الهواء، مفزوعًا كأني أسقط من جبل الزيتون على سنون رماح تكسو ظهر تنين ينتظرني في الأسفل.

فَنْجَلت عيناي مخضوضًا من كتمة أنفاسي شاهقًا الهواء، وأنا أقوم قومة غريق خرج للتو من دوامة إفرازات معدية داخل معدة هذا التنين، لعنت الكوابيس وبَهَلتُ رئتي وخوفي وقلبي الذي كان يخفق كقلب الفأر مائتي دقة في الدقيقية.

مُدثرًا بغطاء وهذا ليس طبعي:

- اممم، أكيد ليالي هي التي دثرتني.

طبع الإناث جمعًا هو الحنان.

- مسم "الحنية ياعنيا"،

حتى وإن كن يكرهن، فهو كالوشم على قلوبهن مَوسوم، لا ولن يستطعن

أن يفتكن أنفسهن من فكرة كونهن كيان حَنون مثل الفرشات الهفهافة وسط روضة زهور حمراء وصفراء وبنفسجية.

نفرت الغطاء من فوق جسدي، وضعت قدمي على بلاط غُرفتي، هُناك شَيئين لا أفعلهما كالباقين، لا أضع مَفَارش تَكسو الأرض ولا أرتدي "شِبشِب"، اُفضل أن أتمشَّى على زَمهرير الأرض حَافيًا كالفقير يوم الدَّينونة، الصقيع يُشعرني أني حَي من بَعد فُواق المَوت، البرد يَجعل الخَلايا والعَضلات دون ارادتها تنتفض وتقشَعِر، تحيا غصباً عنها من بعد الركود الذي كانت تستمْنيه في النوم، قشعريرة الصقيع يعمل عملية عكس الزمن ألا وهي السعي نحو الحياة، ومقاومة التجمد التي سكنت روحي مؤخرًا.

على طرف سريري الخشبي يقف "زموخ" بشموخة الكئيب وذيله المعقوف كحلوي "المشبك" وشكله البشع ولون جلده الذي كلما لمس شيئًا استحال لونه، يلتمس ذبابة أو ناموسة أو عنكبوتًا، يقترب منهم بملل وصبر غريب حتى يطلق لسانه نحوهم كالرصاصة، ومن ثم يرجع بهم على فمه سريعًا مستمتعًا وهو يمضغ وجبته بنفس ذات البطء والملل الذي يعيش حياته كلها داخل كنفه، أحيانًا كثيرة أستغرب نفسي لماذا حرباء قررت أن أقتني؟

دونًا عن كل الأصناف التي رأيتها في محل الحيوانات، لكني أعشق

فيه رخامته اللامتناهية وصمته وعبوسه الدائم، بالنسبة إليَ هو رمزٌ للاستقرار الذي أحيا أدور وألتف باحثًا عنه في كل تفصيلة، دائمًا مستقر وبطيء كجسد، لكنه في الحقيقة يملك داخله أسرع قناصة عضوية في الكون، ومن حيث الدقة فهو لم يطلق لسانه ورجع فارغًا قط، في البدء يتلون كتمويه فيصير خفيًا بالشبه، ثم يدنو بمكر حاخام يهودي، ثم يفغر فمه جزئيًا حتى يظهر منه أفعوانه وردي اللون، أووف كم أنت مقزز أيها الشيء.

ربما لأن كلانا يسبب لي الاشمئزاز، هو سبب اختياري اليتيم لك أيها الجلد المتلون.

نقلت خُفَاف قدمي على سيراميك الأرض، وأنا أمتص اللذعة الباردة تسري من أسفل إلى أعلى فينقمط كتفي محتضنًا عنقي شعورًا بالصرير اللاذع، أصل إلى دورة المياه مارًّا بالصالة الوحيدة كالسلحفاة في بياتها الشتوي، أقف أمام الكومبنيشن، أنزل خصر بنطالي ممسكًا صديقي الصامد إثر الإصطباح، استدعي بولي من جوفي كما يستدعي الدجال أرواحه للتسلية، لا أعلم لماذا أتمعشق كالخنزير في الوحل عندما يسري البول في مجرى عضوي المنتصب انتصابة الصباح المعتادة، أبزغ شخصيًا وحرفيًا مشرقًا من حشفتي كأني أتقيأ روحي

من عضوي، حبل مربوط بين عضوي وخلف عنقي من التيار الكهربي واللسعة هي هي نفس متعة الشبق في الشتاء، لسعة القضيب تتماهى مع قشعريرة عنقي في جزء من الثانية ليرتعش جسدي مع تنميل غشيم في قفاي، ومن ثم ظهري كلة مرة واحدة كالدرويش الفاقد للوعي الدنيوي.

هذه المتعة لن تعرفها النساء مهما نالوا من الحياة قرون، ولن يُقدرها إلا الفنانون، متعة التبول في الصباح عندي تشبه هوس ارتشاف القهوة عند رؤية الشفق مثل زاعم العمق الذي يشرب سيجارة طويلة لا يسحب نفس منها على صدره خوفا عليه فيكتفي برشفة من القهوة، وسحب نفسًا من فمه يُطلقه من أنفه كالمُخنث دون أن يبتلعه داخل صدره.

انتهيت من انقباضاتي التي ترترت بدني ورخته، ولكن وأنا أضع صديقي الصامد في جراب بنطالي نكدتني ذِكرى لم استسيغها عن قتلي لعنتر، فهل كانت تابعة لوصلة نومي أم أني قتلت أمس بالفعل عجوزًا، كنت حينها لازلت واقفًا أمام "الكومبنيشن" آخذًا وضع التبول من سرحاني فيما حدث، ما جال في خاطري هنا هو ببساطة شعور بالذنب تجاه إنهائي هذه الحياة.

– لكنها في كل الأحوال ستموت، ولا سيما هذا العجوز فالموت ساهر معه ينتظر غفلة لينقض عليه.

- ليس هذا معناه أن تأخذ منه حقه في أن يحيا ما تبقى له.

- هو كان شريرًا يستغل الفتاة ويستغل المستأجرين، كان فظًّا كشحاج غراب يتيم، يسبب التوتر والتلوث النفسي لأي من يجاوره، ليس أيضًا سببًا في إنهاء حياة.

يا إلهي على هذا الحوار الرجيم الذي يأكل ما تبقى من تصالح مع نفسي، فأنا بالكامل أعاين نفسي شخص ثلم أو جحش لا يشعر مهما ضربوه، صرت أشبه بلدي.. لا أحس.

- الرواية!

تذكرتها مع الانتكاسات، لا أعلم لماذا عندما أكون متضجرًا أتذكر كل الأشياء الكبيسة إجمالاً ودون إنذار، لا زلت منذ أزل الزمن لم أكتب منها إلا ولا حرف، إذًا فرصتي في الحياة ستزيد وهذا ما لم أستأنسه، فما يسكنني شعور أنني خلقت خطئًا، أو إن من كان سببًا في مجيئي قد جلى، ولم يصيب صائبًا صحيحًا بل أتى بشبه أدمي ليس إلا فاقدًا للحياة، وهو حي مثل حديث الوفاة، جسد دون وحي، روح دون متوى، نفس بلا إحساس، مفترق ومقسم، والأنكى من الكل الانقسام على الذات، حين أكون ولا أكون في نفس النفس، سأكتب هذه الرواية وأموت أم سأظل خالدًا بالألم من نقصان تتمتها؟

-اخرس ياحيوان، أنهينا ثلاثة فصول ولم تأت بفكرة الكتابة حتى، أنت فعلاً فاشل، لن تموت ولن تتم هذه القصة أبدًا.

*****

obeikan.com

" العُقلاء الحقيقيون وحدهم هم مَن يستمتعون بالجُنون"

obeikan.com

obeikan.com

لا تجادل خالقك يا أخ عَلي

٤

غطست أسفل ضرع "الحنفية"؛ لا أستسيغ كلمة "صنبور"، فهي كارثية بالنسبة إليَ مثلها مثل كلمة "جنس" عند راهب مسيحي، أو كلمة "مسيحي" عند سلفي وهابي، أو كلمة "فلسطين" عند يهودي، كلمةٌ لا أبتلعها، ولا يسألني أحد لماذا، فليس هناك سبب لكره الأشياء أحيانًا، مجرد أنني أشمئز منها، أهذا لا يكفي في حد ذاته سبب!

المياه تشق فروة رأسي، وتقسمها أراضٍ وأملاك، وأنا أباع داخل مزاد راحة البال في لحظة الدفء تحت المياه الحرارية المفعول، أنا قتلت "عنتر"، وجامعت زوجته داخل بؤبؤ عينيه كالأراجوز، استفرغ مخي في الحوض والسخونة وأتفكر.

ترامادول مطحون

حشيش

بفرة

العيادة

مياه شرب زموخ

الإيجار

لمن سأدفع؟

يد عنتر تتشنج قبل قتله

ليالي

حلمات نهود ليالي لا تشبه بعضها

نكاح الأمس

مهبل نوال مبتل أكثر من مهبل ليالي

نوال

العيادة مرة أخرى.

أغلقت الحنفية، رفعت المنشفة من خلف عنقي وحجّبت رأسي فاركًا إياها بعنف، وأنا أخرج من متنزه الحمام الذي أطلقني مثل الريح، جلست على الكنبة لأن بالنسبة إلـيَ "أريكة" أيضًا مثلها مثل لفظ

obeikan.com

"صنبور".

رميت رأسي للخلف لعلها لن تعود، لا أريد وشيش صدحها وضجيجها المتهالك مثل ثرثرة عجوز تقرد الأذن عشمًا في الأنس، عيناي تلمح السقف، "اووه كم أنت جميل أيها السقف"، السقف يلفُّ ويدور كالثعلب الذي فات في ذيله سبع لفات.

آآه ياعظامي! تعال أيها الوجع، أهلاً بك، اجلس أيها السرطان على وثيرة عظامي فهي لك نعمة مني، فأنت من جُرت واغتصبت، دَعني أشعر ولو للحظة بأني أنا من دعوتك حتى أستخف العجز الذي يلوكني تحت ضرسيه ممزقًا لحم نفسي بنزيف وغِل.

عدلت رأسي ورميت نظري على الطاولة الخشبية ذات البساط الرخامي، سحبت شريط الترامادول من عليها، "فَوَّرت" قرصين من مكمنهما كلُصُوص الله، تبًا! ههه، ماذا لو تأمر أحدًا أن يسرق الله وليكُن في سلطانه، أليس هذا وارد! ما هذا؟ أنا لم أتناول شيئًا بعد. ما هذا المزاج السريالي؟

أشعر الآن أني أقدر على كتابة رواية كاملة عن ملاك تودَّد لله حتى رفعه وجعله ثانيًا في مملكة الأول والآخر، وليكن الملاك رصينًا، ليس مثل لوسيفر أغبى غطريس عرفه كائن الزمن، وليلعب الملاك على

وتر الكبرياء لدى المَولىَ، فليس كِبر وغَر مثل صانعهما، صانع الشيء أحيانًا يضع سلطانًا للشيء يفوق سلطانه، لن يتعالى مثل سابقه بل سيُوَسوس بخُبث في أذن السامع ؟

"هل من اتضاع يُعلن للعَامة يا سَيد فقد قَالوا عَنك رَفيع التُخوم، عَلوي الخَواطر، نَزيه عن الرؤية من سماوة قدسك.

أدقُّ على القرصين بمؤخِّرة الريموت لأفتتهما كبودرة، أسحب ورقة فئة مائة جنيه جديدة، المئة أفضل من المئتين في الشم فالمئتين طويلة زيادة عن اللزوم، أبرمها كاسطوانة، أضع طرفها في أنفي، وأقدم للسرطان واجب الضيافة حتى لا يمسك سيرتي كالحريم عند الباقين، ليس جيدًا أن أبتلعهما، فهذا لا يليق بمريض آيلٍ للسقوط نتيجة هذا السوس، الشمُّ يُعطيني نوعًا من أنواع المتعة وسط كل هذا العبث، يجعلني أشعر أني أسير الإدمان وليس أسير السرطان، في كل الأحوال أنا "عبد"، ولكن عندما يصير لك إمكانية اختيار السيد حينها ستؤشر على الأمتع، من يجعل منك رئيس خدم حتى تشعر بما حرمك هو نفسه منه في غيركما، تشعر أنك متحكم وأنت في قمة العجز.

وأنت تعلم ذلك. أنك في قمة العجز.

"هههههههههه جميلة هذه، لا لا، فعلاً حلوة، لا أهزر!"

"اخرس يا حيوان دعني أكمل"

أخذت سيجارة ملفوفة مقدمًا من علبة السجائر، أعشق هذا الشعور وكأني طفل أمه تقشر له ثمر الرمان في طبقٍ، ثم تذوب ماءً وسكرًا في كوب تغسل به فصوص الرمان ثم تُصَفِّيهم وتقدمهم له مبتسمة. هكذا هي سيجارة الحشيش الملفوفة بالنسبة إلـيَ، كم أنـا طفولي حتى في الإنحطاط، أرتشف القهوة الحلوة بزيادة مع نَفَس حشيش مع الترامادول، كوكتيل انتشاء عالي كما يطلقون عليها الأجانب get high.

"أطير وأترتررررر في الفضاااااا"

يخرج "أمهق" من دبر زموخ الحرباء الذي أخذ سبع سنين ضوئية حتى يخرج خلفي، في صورة رياح.. شاب أبيض اللون والشعر، كالكلب اللولو، ويقول وهو يقشع العُماص من جدوب عينيه قائلاً لي.

"صباح الزفت ياخرا... سكران عا المِسا؟"

كنت حينها قد ارتشفت ثاني رشفة من القهوة، وثالث نفس من السيجارة "المُوَنْوِنة" ذات الطابع الفُكاهي، فنظرت له بكل كبرياء وعجرفة وأنا أضع قدمًا على قدم.

"وأنت مال أمك ياظرطة أنت.. أنت أول عن آخر مش حقيقي يا حيوان، ثانيًا ازاي سكران وأنا بشرب قهوة يا متخلف، عمرك شفت سكران بيشرب قهوة؟"

رد وهو يحك خلف أذنه بعَتَه...

"لأ"

"شُفت بئى.. يبئى أنت حيوان ولا مش حيوان؟ افصل واقشع من هنا.. عشان مصليش عليك أحَرئك"

"أنا مش جن يايحيي.. أنا صنع دماغك يابني أنت اللي عاملني، يعني أنا هو أنت، والمصيبة إنك عارف وعادي جدًا بالنسبالك، لا بتتعالج ولا بتتنيل، بالعكس بتكلمني عادي كأني موجود فعلاً.. يابني اصحى شوية، أنا مش حقيقي هاتحرقني ازاي؟"

استفرني ابن المنكوحة، أنا طبيب نفسي أساسًا، فيقول لي هذا الهلوسة أني لا استطيع أن أحرقه.." وحياة أمك لوريك هاحرئك ازاي"، شطيت في شعر إبطيه النار في لمحة بصر، وجعلته يقفز ويطوف حاجًا حولي أنا والكنبة، وهو يصرخ مهلهلًا يداه كالبط ويقول، "أأح.. أأح" وأنا أضحك حتى شعرت ببولي صعد إلى عيوني، ونزل منهما على هيئة دموع، وأنا أمتص الأنفاس امتصاصًا من السيجارة ضامًا شفتاي على

مبُسم السيجارة بغشامة كأني أحضن امرأة لحظة قذف، متقوقعًا مثل الجنين على الكنبة، أشخر من كثرة الضحك، أمتص، أقهقه، أخرج الأنفاس في صورة دخان متقطع، أراه يحُجل حولي وهو يصرخ "أأح"، أقهقه وأشخر أكثر وهكذا.. حتى ابتل سروالي.

*****

obeikan.com

obeikan.com

عاشق الجسد يعلم قِيمة الروح، فالعشق سجان، والروح زنزانة، والجسد باب الخروج.

obeikan.com

obeikan.com

يحيىَ

٥

أنا أحيا في الدور الرابع من عمارة عنتر، هي سبعة أدوار، شقتين في كل دور، فتحت الباب، الساعة كانت تقريبًا السابعة مساءً، وما بين فتحي وغلقي للباب أصخت الصيحات والضجيج والولولات مجلجلة وسوقية لحد لا يطاق.

"يا حبيبي يا سندي، مكانش يومك ياجوزي و... و....." من النهاية هذا صوت "ليالي"، دبدب الوَهل على قلبي كي يدخل، ففتح الغبي لا إراديـا، عنتر مـات وأنـا من خنقْته، أنـا دكتور "يحيى عبد الحق ابراهيم" طبيب أمراض نفسية وعصبية مصاب بسرطان، لا أعلم سرطان ماذا، ولم أحاول أن أعلم، كل ما حدث هو أني شعرت بألم وقيء ووهن مستمر، شككت وذهبت لأعمل "c e a" أو تحليل دلالات أورام عامة وكانت النتيجة إيجابية.

تبًا لصوتك "ليالي" حتى وأنت تنوحين زوجك غيداء، هذا الغنج

الحاد آخر بحة صرخاتك يجعلني أنتبه لك كشخص وهذا قليل أن يحدث، ألمح من مطلعي قسيمة جسدك الغانية، "ياعنتررررر..... " حرف الراء من الغانيات فردوس أغاني، تنوح مرة أخرى نوحة مبتورة وليست مكسورة، بل شعرت أنها مثل لاعبي الراجبي الفائزين بكأس العالم، لديها طاقة فاقت انفجار "البيج بانج" لمجرد استشعارها الحرية، وخمن من هو المحرر.. إنه زيوس عمارتها الآن "أنا"

"لا حول ولا قوة إلا بالله.. استهدي بالله ياست ليالي.. كلنا زايلين، محدش هايعمر فيها متعمليش في نفسك كده"

"مصطفى" إنه ولهان "ليالي"، أخو عنتر الصغير، كان يكره عنتر مثلما يكره الخروف الذئب، أخوه من أم أخرى جار عليهم عنتر هو وأمه بعد وفاة والدهم، ولم يعطهم حتى الخبز ناشف، بل رماهم حرفيًا مع الكلاب وسط الشارع وسط الليل وهو سكران بعد وفاة أبيهم، فبكت أم مصطفى واستدمعت كحلها في الشراع، وهي تهيل التراب فوق رأسها، شَعَرَ الولد مصطفى حينها بالإحراج والمَهانة، وكان يريد أن يضرب أمه كي لا تُحرجة زِيادة أمام الناس، مصطفى حينها كان عشر سنوات.

كانوا كلهم يعيشون في نفس العمارة، في نفس الشقة الحالية التي

تسكنها ليالي في الدور الأول، أهل الشارع اجتمعوا يستسمحوا عنتر كي يأويهم لحد النهار، غمغم الهمجي غير مُبالٍ وأدخلوهم أهل الشارع، وخرجوا وأغلقوا عليهم الباب، أم مصطفى حينها كانت شابة مقبولة الوجه، لكن أنوثتها واركة، ونهودها ثدية في الثلاثينات قدرت على حبل من سبعيني خرفان ملاذًا في إرث مثلها مثل ليالي، حكت لي ليالي أن عنتر حكى لها عن أم مصطفى وأنه أخذها وأدخلها غرفته، وأغلق بابه، أذلها وضربها وهيمن عليها واغتصبها إلى أن قالت ليالي على حد تعبيره:

"هديتها بت الجزمة ام وراك تخينه.. خليتها تمشي زي المطَّهرين وهي بتصرخ وتقولي كفاية"

أم الولد طفشت في الصباح، تركت ولدها نائمًا بجوار أخيه الذي اغتصب أمه، عنتر أخذ الولد على أنه صبي ورشة، لم يدخله مدرسة، بل شغله كعامل في كل شيء؛ السوبر ماركت والقهوة وغسل ومسح العمارة والإتيان بطلبات الناس.

كان واقعيًا وأمام الجميع يهينه، وهذا ما جعل في قلب الناس له صده وكره لم يقدروا على إظهاره من سوء طبعه ومركزه في الشارع، ومن حين أن جاءت ليالي زوجة له، فصار مصطفى يتودد لها بالخدمة في

كل شيء، ولكنه غبي كان يفعل ذلك أمام الناس، قالوا إنه عشقها، فلم يتوان عنتر في إكرامه، بلغ عليه الشرطة العسكرية لإلحاقه بالخدمة العسكرية، وزوَّر شهادة وفاة لأمه ليصبح هو الأخ الثاني لعنتر، ولائق "بالأحمر" مع رتبة هارب، وهم في الجيش مثلهم مثل العبيد، يعملون، ويُهانون، ثم يُسجنون ويُحرمون من الأجازات مع شهادة قدوة سيئة في الأخير، هذا آخر ما أعرفه عن مصطفى، لا أعلم ماذا أتى به الآن؟ هل أتم خدمته العسكرية؟ أم أتمها من زمن ولم يأت إلا وقد عرف أن صليبه قد تحطم؟ حقًا لو قلت له إني من قتلت أخيه أظن أنه سيفرح بي فرحة الحضري بهدف أبوتريكة في عام ٢٠٠٦؟

انهمرت على درجات السُلَم درجة درجة، ما بين أتنصت الأصوات والترحمات، حتى أجد وقت أنزل فيه بحذر من المرور أمامهم، أخمن الأشخاص وأحسب العواقب.

كوني صامت في وجودي معهم في العمارة لم يساعدني على التخفي، هنا إذا صمت أكثر من اللازم، فأنت بذلك تلفت الأنظار دون أن تدري حتى أنت بذلك، يبدأ من حولك يستفسرون وجودك ويضعون احتماليات لشخصك وكيانك وعملك وسبب صمتك، في البداية يحسبونك متعالٍ، ثم يسألون ويتقصون عنك حتى يعلمون أصلك وفصلك، ليس لسبب

حقيقي إلا لكسر الملل، وإشباع الرغبة المريضة في التطفل على الآخر.

وصلت حتى الطابق الثاني.

أصوات الجميع صارت واضحة، سمعت من الناس بوادر مشكلة مع موظف مكتب الصحة.

"يا سيدي الأستاذ مينفعش أطلع تصريح دفن إلا لو دكتور مكتب الصحة هو اللي مضى على التصريح.... أنا موظف يا ناس، أروح في داهية يعني؟"

هاجوا عليه في زعاق مختلف ومحتد:

"طب.. ما تتصل بالدكتور"

وهو يقول:

"اتصلت وتلفونه مغلق"

حينها كنت قد وصلت الطابق الذي فيه الناس، والزحام الخاص قبل التكفين ثم الدفن، رآني أحدهم، أتذكر أنني رأيته في مرة قد أتى إلى العيادة بابنته كانت مريضة صرع، صرخ كأنه الأعمى الذي قد جرى خلف يسوع.

"ياضوكتور... ياضوكتور"

لم أبال، بل خبطت في الجميع مسرعًا، أحاول أن أفتك الزحام لئلا يلاحظني أحدهم، أمسكني من كتفي وجذب:

"ياضوكتور يحيى مش فاكرني؟"

حاولت أن أكون من مواليد بنها ولا أتجاوب، لكني وجدت أن الجميع قد استجاب للفظ "ضوكتور" الذي استرعى انتباههم من فرط احتياجهم له في مثل هذا التوقيت،

أنقذني كاتب مكتب الصحة عندما قال لهم

"مش هو ده دكتور مجدي بتاع مكتب الصحة، مينفعش حد يمضي على تقرير الوفاة غير دكتور من مكتب الصحة"

لم يبال أحدٌ من المستمعين بأي قواعد، بل قبضوا عليَ كأني متهم، ويجب أن يقضي عفوه بعد عمل ما كانوا يحتاجونه.

قلت وهم يحاولون أن يدخلونني داخل الشقة التي كانت فيها ليالي قد انتبهت للجلبة التي تحدث:

"أنا مش ممارس عام يا جماعة، أنا دكتور نفسية مش هاينفع أمضي على حاجة أساسًا"

ثيران همجية لهم أيادٍ وليست حوافر أدخلوني غصبًا، ولم يبالون بأي شيء، كل ما يطلبونه هو أن أرى جثة عنتر وأتفحصها، ثم أوقع على تصريح الدفن بأنه مات موتًا طبيعيًا، ليس مقتولاً ليدفنوه ويخلصون من هَمّ الجنازة بدري بدري.

أنفاس وعِمَم وجلابيب وأقدام و"نسوان" وليالي.. عينيها تحجرت عندما رأتني مندلقًا مع معمعة تيار الهمج مُعزبيها، أنا شرابيني تصلبت كالخرسانة، وكالعادة خفت من الجموع عليها إن اكتشفوا ما رآه زوجها سيقطعونها مثل (الدجاج البانيه) وهم يتحرشون حرفيًا بجسدها المفتت، أنا أعلم هؤلاء القوم كل مشكلتهم في ممارسة الجنس دون زواج هو أن غيرهم فعل هذا ببساطة وسلاسة ومتعة دون اللجوء للعشر سنين "تحويش" واستعباد من أهل العروس للمتقدم واستهبال من العروس نفسها في فترة الخطوبة إلى أن يصل إلى ليله الدخلة، فيكتشف أن الأمر لا يأخذ أكثر من خمسين ثانية، فيطلب مرتين ثم ثلاثة من هذه الجديدة التي لم تعتد غشامة طلبه، وهو لم يعرف طريق بظرها فلن تطيق الهمجية فيشعر بالنفور منها فيكرهها فتكرهه ف..... بس خلاص...

لا أعلم كيف لمسيح أو نبي أن يمشي وسط جموع مثل هؤلاء، إنهم

يخيفون حتى وقت احتياجهم، فإن فعلت لهم الطِلبة فمحبتهم ترعب من كثرة العبودية التي ستجدها منهم، وإن فشلت في مقصدهم سيثورون كالكراكن الغاضب يبتلعونك لحمًا ويتغوطونك مهضوما بلعاب القسوة.

نظرتها أربكتني ليس لشيء، فأنا أتحاشاها لوجود سر بيني وبينها، على قدر قسوتي معها لكني أخافها، فهي صدر متعتي وقلب رخائي، دونها لا نعيم لي بالخلود.

عنتر خرج هو الآخر من الغرفة، خرج كأنه قطعة روث ديناصور يتبخر منها الميثان في صورة دخان، رائحة موته زكمتني حد الغثيان والتقيؤ، البشر حولي يختلطون علي، وأنا شبه مَغْشِي عليه في أوسطهم، أحدهم يضحك ويصفني "بالفرفور"، والأخريات تتمتم ب "اسم الله يا ولدي.. مش مستحمل ياعنيا".. وأخرى "مين ده؟" وآخر يستظرف "إيه ياضوكتور أجبلك نوفالجين"..

عنتر ابن الغوريلا يقف بجواري ينزف الدود من فمه وأنفه كأنه مصنع دود متحرك، وهناك دودة ضخمة جدًا وجدتها تقف على منخاره تعلِك عينه اليمني كالمضغة مستلذة والغشيم ينظر لي، وهو يضحك ويهأهئ وكلما هأهأ سقط من فمه الدود تباعًا حتى صار كل الناس دود.

دود واقف على حيله دون أقدام، دود يثرثر، ثم يضحك بشخرة مكتومة

وهو يستميل أذن دودة أخرى ينم على دودة ثالثة تبعدعنهم أقدام، دودة ثمينة تأكل قطعة كيك خاصة بطفلها وأخرى رفيعة كالفتيلة، دودة بشارب وأخرى بلِحْيَة، دود يجلس على الكنب، عابس ومكتئب، وأغربهم كان الدود الذي يدخن السجائر، كنت أرى السيجارة والدخان وفم الدود، لكني لم أكن أرى أصابعهم التي يمسكون بها السيجارة، بل كان أحدهم يأخذ النفس ويعطي الآخر السيجارة بفمه لفم الآخر وهكذا،

عنتر مازال عنتر كريه.

أمسكتني ليالي من يدي، وأنا مشدوهٌ من الناس أشباه الدود هؤلاء، أدخلتني الغرفة وأغلقت الباب علينا نحن الأربعة، أنا وهي و إثنان عنتر أحدهم نائم نظيف على السرير مغطي بملاءة بيضاء وعنتر العفن زميل هذياني يقف بجانبي وهو يهأهئ.

ليالي ليست دودة بل مازالت لؤلؤة طاهرة، لطمتني كثيرًا وهي تلفظ "يحيى اصحي يايحيى" تدريجيًا أدركت يديها، والحول الذي يحيطني أنا وهي وجثة عنتر، كل ما كانت تتكلم عنه وهي تبكي هو ما الذي أتي بي الآن في هذا الوقت بالذات؟

عنتر العفن يتوسط حديثها معي ينظر لها في خطل مادًا رأسه للأمام، فاغرًا فاه بيت الدود، وأنا لاحظت أنها لا تراه، بالطبع لن تراه فهي

ليست أنا، المشكلة العويصة هنا هي أني لا أتمالك نفسي أمام دموعها، لا أعلم ما سر دموع الأنثي مع إثارتي، لكني نظرت لعينيها السوداوتين ومنها ارتحلت على شفتيها فوجدت صديقي يطلب اللجوء داخلها واقفًا، سأمسك في البدء وسطها ما تحت نهديها وما أعلى فخذيها، قاومتني، الإناث جميعهن تقاوم بضعف يهيئ المجرى للفحولة والسطوة، أمتلكها مثلما امتلك داود اسرئيل وغزة معًا، أتفحص ثدييها مثلما تفحص الحكيم ثديي محبوبته في النشيد، طريَّان مثل الملبن، لدنٌ هو لحمها، حلماتها كبيرتان في حجم النبق، افعصهما فينهمر شهد نصفها الأسفل، تسيح الفتاة فأول مرة أطلبها أمنيتها تتحقق، أرميها على السرير فتسقط على زوجها لتنخض وتتذكر أنه هنا.

حُرْمَة الميت.

لن أسمح لهذا العفن أن يفعل مثل الليلة الفائتة ويحرمني من شغفي في اللحظة الأخيرة، دحرته بغلٍّ وأسقطه بملائته على الأرض.

فحُرْمَة الحي أسمى.

هجمت عليها مغرورًا ومملوءًا بالشر نحو رفضها لي، قرأت في عينيها حالتي ألا وهي.. إن نزل الله من السماء الآن لن يوقف ما أريد، هي استسلمت، أنا هجمت، لاحظت أن عنتر العفن يجلس جلسة الكلاب

على طرف السرير رافعًا جمجمته لأعلى ويعوي كالذئب والدود يقطر منه حولنا، لم أبالِ، جسدها عنفني، ساقني كالعادة، هنا أنا العبد، حتى وإن كنت سيدها وضاربها، أنا أسير أنوثة جسد، هنا أشعر بالموت الحبيب، هنا أشعر بالفراغ والراحة الأبدية، هنا أشعر بـ الله والوحدة المتعددة الأجزاء، أنحر فرجها بقضيبي، تتأوه هذه المرة في سكوت وآهات مكتومة، عيناها مقطبة تتألم باللذة، يعجبها الاغتصاب أو الحرام، ممل هو العادي، حتى الأزواج يتناكحون في المطبخ، وعندهم السرير الوثير، المغامرة أخذتني نحو الشغف، فككت الحجاب، أمسكت شعرها، لكلكته بين يدي وجذبته كاللجام، وصلت لقمة العبودية وهي معي، هذا وقت الذروة، "يحيى فوق يايحيى".

obeikan.com

obeikan.com

موت

٦

تبًا!

كعادة عقلي أشعر أني "يوسا" بكل هوسه الجنسي.

لكنها إيروتيكية الحياة يا صديقي، استحالة أن تتجاهل الموضوع بسهولة لمجرد ضميرك، الجنس أعلى من الضمير، هذا واقع يجب أن تعترف به.

-بالطبع خطأ! إن كان الجنس أعلى من الضمير لبادت فكرة الزيجة.

-لا أعلم... أنا فقط أنفذ الوصية، أكتب نفسي في حروف، وأنهيها، فتنتهي حياتي بكل بساطة وسلاسة، بدلاً من الخلود الذي مررني هذا، خلود ممزوج بالألم دون موت، وهو ما يُعرف "باللعنة"، أنا مَلعون مثلي مثل الآخرين المشتتين في الأزمنة الأخرى، كل ما تعلمناه أن الأزمنة مثلها مثل شوارع، منها النظيف والأرستقراطي ومنها الدكتاتوري ومنها زمن الجبلاوي، ومنها كل شبه مع الشوارع، الزمن خليقة، هذا

obeikan.com

ما أتذكره جيدًا من الرؤيا الملعونة، الزمن ليس مقياسًا أو تاريخًا، الزمن هو باكورة الخلق، وخلاله تم الوجود ولولاه لتلاشى الكل مثل ذرة تائهة في الفضاء الظليم،

-هل هذا في حد ذاته رواية ؟

-لا أعلم.

-لماذ اخترت الرواية، هو قال حروفًا، وليس رواية، لماذا ليس مقالاً أو شعرًا أو نثرًا؟

-لا أعلم.

-هل تعلم كيف تكتب رواية.

-لا أعلم.. لكن من الغبي الذي أفتاك أن للبَداعَة كيفية؟

-لا أعلم.. إذًا لماذا تكتب هذا؟

-كي أموت.

-لماذا تريد أن تموت؟

-لا أعلم..انتظر.. ربما ليصير لما أعيشه معنى؟

- ما علينا.

obeikan.com

صحَّتني من أحلام اليقظة، وهي لازالت تلطم خدي، دخل بعدها مصطفى حاملاً خبر وصول الطبيب المختص، أخيرًا تهجدت للصلاة عليها صاحيًا لكنه مازال "عنتر العفن" بجواري، والحبيب "أمهق" أتى معه..

هي ناقصة!، الاثنين يزاولوني كالكلبين البوليسيين من اليمين واليسار لا أحد يراهما غيري، أفسحت المجال للطبيب وخرجت من الغرفة، فخرجت خلفي "ليالي" وأمسكت في ذراعي، وشدتني ناحية المطبخ الذي كان خافتًا من الناس والازدحام في الشقه وبصوتٍ منخفضٍ....

"ماتسبنيش لوحدي يايحيى.. أنا محتجاك، خليك معايا لحد ما ندفن"

نظرت في عينيها صامتًا لا أعرف ردًّا، فردَدَت هي الكلمة "ماتسبنيش" بعوزٍ ورجاء رأيت أحقيته...

"أرجوك".

عينيها عادية جدًا، عسلية مثلها مثل الأغلبية، لكن الخبث يُسكب من نِنّ عينيها لما تترجاني بتذلل، تصبح مثلها مثل القطة الملساء عندما تنظر لأعلى صاحبها وهي تموء مُصلية أن يتحنَّن قانيها بفتات عطفه، حدقتيها تمددتا وماء جفنيها يترقرق، جبينها يكفهر، تصبح كالطفلة

بنت الخِداع، بنت الخديعة هي، لا أعلم بماذا أرد.

فلو أحدهم ترجَّاك فهو في الحقيقة يغلبُك بالخير عن طريق شَرَّك وهو الكِبرياء، الإحراج من الرفض تملكني، وجعل رأسي تتلقلق تلقائيًا فوق وتحت بعبوث موافقًا على طلبها، وفي لحظتها اقتربت يدها من يدي التي من الداخل بعيدة عن ناحية الحضور وحضنتها بقوتها الرقيقة، علمت حينها أني في ذهنها هو الشريك القادم التي قررت أن تقتنيه هي لا مثلما حدث في نكبتها الأولي.

خرج الطبيب من الغرفة، ومعه كاتب مكتب الصحة وهو يوقع ويسأل ليالي مجموعة من الاسئلة، ليالي كانت خائفة ولم تأخذ في بالها أنه بالفعل وقع على تصاريح الدفن وما يفعله ما هو إلا نفش ريش أمامها وأمام الجميع، إذ يصبح للطبيب في مثل هذا الوقت هيئة وكيل النيابة المحروم منها نفسيًا، فينتهزها فرصة لممارسة الشذوذ النفسي نتيجة رضاعة من حوله له أنه لا شيء في العالم أعلى من ثلاثة اللّه والقاضي ثم ضابط المرور.

المسكينة كانت رجفةُ ومقشعرةٌ، لعثمة تغزوها، وهي تنظر بيني وبين الطبيب، لكن الأمر في الأخير انتهى بأن الطبيب قال: "البقية في حياتك ثم السلام عليكم" وهو يخرج في رحاب مصطفى أخو الميت،

هو وكاتب مكتب الصحة الذي أخذ من مصطفى مائة جنيه ثمن المواصلات وكروت الشحن.

حينها حدث الحدث الأخطل والعابث، أتى "زموخ" باشا، متبخطرًا "بتناكة" أبناء جنسه الحرباء، أتى من وسط أقدامهم كالعفريت، ألوان جسده مختلطه فهو في وسط متباين الألوان، صرخة حادة أتت من أم علاء الزانية، "فار"، ليالي نظرت امتداد إشارة اصبع أم علاء الزانية المتجهة نحو الكائن وبصرت "زموخ" وهو متوجه إليَّ في بطء كأنه شبه كائن ما بين الصاحي والميت، لطمت يدها على فمها وانفرجت عيونها كأنها رأت غولاً مُسَنَّمًا، الخوف هنا انتشر بطريقة جعلتني أسترجع أزماني التي عشتها قرونًا.

الجميع خافوا وجروًا خارج الشقة؛ منهم من قال "طرّيشة.. لو عض واحد إما يموت أو تقطع إيده"، النساء كالذباب فررن وهن يصدحن بصياحٍ جَلَبٍ ومِصوات، الرجال كأنما لبسهم جِن أَوْكَع، أمسكوا بهداب جلابيبهم، وبانت جواربهم، مُأفزة كالسوناتهم، وصاروا يحجلون وهم يركضون للخارج يدوسون على أي خصم ينحيهم للنجاة، لم يبق في الشقة إلا الأطفال أبناء الوداعة وأنا وليالي التي كانت مازالت تضع يدها على فمها في ذهول، ومصطفى الذي كان يأتي عكس تيار الناس

مستشهدًا ضد "الطريشة" الذي يُعرض ليالي للموت.

الأطفال في أماكنهم يبكون على جري الوالدين، مصطفي أتى، وعندما رأى "زموخ" خلع حذائه فورًا ونزل بكعب الحذاء على رأس الحرباء بكل عَزم وضَغَن، مات "زموخ" في الحال، المجنون الأَلـوَقُ، لم يهدأ بعدما شَجُّه بل بكل مقت أخذ يضرب ويضرب ثم يدهس ثم يضرب في الميت.

*****

obeikan.com

الألم دومًا مُلهم.

obeikan.com

obeikan.com

في التُرب

٧

حينما اُردِفنا للتُرب كانت قد جاءت الحادية عشر ليلاً، تُرب المُسلمين بَلد مثلها مثل بِلاد المُسلمين، مُسورة بِسور مَطلي بالجير الرَديء الوَردي، ويُمتَهَن هذا السور مَبولة في أغلب الأحيان، وبَعض الأحيان الأخرى مَنفذ إعلاني أثناء الإنتخابات البَرلمانية، وأخرى يَكون مناطق سيطرة للبلطجية، قِطعة من السور مَكتوب عليها اسم لشخص ما مَتبوع بكِنية مُقززة مقتبسة من فِيلم عَربي فيه البَطل يأخذ حَقة بالنِقمَة، سُور التُرب وسيلة هجاء وفَضح تَجد مثلاً لوحة زيتية من سائل رخيص ترسم كتابة "نوال بِتاعِت العِيال"، ثم اليوم التالي تجدها هذه الكلمة مشوهة بال "سبراي" ومكتوب بجوارها " على كرنفال بتاع الحشيش" وهكذا يرد كُل على الآخر، سور التُرب لَوحة مِن التضاد تَجذب انتباهك إن كنت تُفكر في الانتحار كَثيرًا، أما إذا كُنت تُفكر في زهور الأحلام وجِنان المُستقبل سَيصير هذا السور غير مَرئي للعَين.

مَحمول على الأكتاف نَعش الفقري "عنتر"، أخضرٌ هو النعش، مُستّرًا

بسجادة صلاة عليها صورة الكعبة تحتها رابض جسده ملفوح بثلج اللحد خاصته، أراه، بل على صدره أقعُد مُقرفصًا، وجهي لوجهه، والناس تحمينا من الضياع.

تحملنا أنا وهو المناكب، فالكفن على أكتاف التُراب محمول

الكل جَرب أن يَخاف في الوَسَن، ما بَين اليقظة والإنسحار في هنة الليل الجَميع يصير أكذوبة، وعيٌ خامل، هكذا هو الميت وعي خامل.

على وَتن عنتر كُنت أجرب كَيف هو دور الشَيطان في الكَابوس، أنا الجَاثوم الرابض على قلوب المَوتي، دَومًا كنت أنا الذي أخاف، دومًا كان الشيطان يأخذني وبيده يطبق فمي فأريد أن أصرخ فلا يخرج الصوت، أصرخ وأنحر حلقي حد البتر، لكن صوتي مكتومًا بيد العفريت، لم لا الآن أتشكل مُخيفًا، حَتى ولو لِمَيت، لَعَله يَصحى من ثباته ويَفِل.

وقفوا أمام التُربة، وكَعادة الجَاموس تَعاركوا على من سَيُوصله للداخل وهُم يُطلقون صَيحات "مع السلامة يا عنتر الله يرحمك يا غالي"، ناظرًا أنا فَوقهم وفَوقه عَليهم وعليه، أراهم وأراه، من بَعيد اُراقِب فِي الكُل عُيونهم، كَانت تصرخ "ارتحنا من قرفه" لكن ولا واحد منهم صَارح وقال إنه زُكمة أنف، كُلهم يَترحمون عَلى المَيت مَصلحة، لأنه إن لم يَترحموا عَليه لن يَجدوا من يَترحم عَليهم.

عِلاقة البَشر بالاحترام هي المَخافة لا الحُب، المَصلحة وَزنت كيلها في ذُهانهم، إن دَعينا عَليه سَيسوء أمره أمام الحِساب، ورُبما ما فَعلناه فيه يُفعل فينا.

– ليس شماتة ارتجي، لكن الحَق قُل، إنك ارتحت من قرفه، على الأقل صَارح نَفسك أنك كُنت تَكرهه.

الكَراهية بعد الموت كُفر، كفاهِ أنياب الدود وهي تتناقل نِثاره، كفاه الجهل بالحول والواقع، كفاه زوجته وهي تَفرِج ساقيها لآخر قائلة في منبعها وهي تَئِح مُنتشية "أخيرًا"، كفاه بُطلان الذات، من الآخر.. كفاه أن يكون ليس واعيًا، والآخرين من حوله خانوه بالبقاء أحياء.

نعم الذين يوشكون على الموت إن كانوا يعلمون أن أحدًا آخر سيموت معهم سيفرحون، لا تصدق كل ما تسمع أن الحب يرغب الحياة للحبيب، الحقيقة اسمعها مني، "الذي يحبك يُريدك بشراهة حتى في موته".

تركتهم ولم أعرف أين هي "ليالي" التي كانت سببًا في إتياني هنا وترك العيادة، أكيد واقفة مع الحَريم، أين هُن الحَريم، هُناك، تبًا لكِ "ليالي" لابد ان أكسر قلبك الآن قبل أن تَتَعفني تدريجيًا وأنا بجوارك نَضِرًا ووضاءً أعيش الزمن بقدرة الحياة.

في العشرين أنتِ مُهرة، سأركبك حتى الخَمسين، لكن وبَعد؟،

ستظلمينني بقُبحك، سَتجعلينني وَفيًّا لبَشاعة ظَاهِرك وعَجز داخلك وأريج الفَنَاء الذي سَأعتنقه دينًا عند موتك.

أنا ميت بخُلدي عن الحياة خاصتكم، أتعلمين يا سِت الحُسن أني اكرهني لأجلك، لأن الفناء علمني القسوة على الحُب، على الشِعر والشاعِر، على الإحساس بالغير، أستصغر وأستحقر نفسي عندما يُثبت لي أني شَرج نَدالة، سيهيأ لكِ في سكرات موتك أنكِ أنتِ من تركتيني، لكن الحق أنني من تخليت عنك، عند وفاتك سأكمل حياتي من بعدك، وافترضي أنكِ وسط عجز موتك ستكون عيونك حية وتنظريني وأنا الذي عشقتيه أعشق وأنجوا مع غيرك من أجل الحرمان والاحتياج اللذان ستتركينني لهما يلتهمانني وحيدًا، حتمًا حينها ستنفريني، لم أعش مُعاناتك في الخوف من النهاية، كلٌّ يبحث عن إكسير الحياة، أما أنا أبحث عن رواية مَوتي.

اُووه ياموتي أشتهيك يا زهر المعنى، يا مَشيمة الروح، أنت الفناء يا عِشقي، سأترك النَهد وأسترضِع رِضاك من وجدي، آه ياموت لماذا كنت نصيبي في فعل الرواية، فالرواية ألم، والألم خبرة، والخبرة للحياة، وليست لك.

ابتعدت عن الجَمع الذي دفن عنتر واستقل أقدامه ليكمل في درب

الموت طريقًا مملاً، في اللَيل انغمست كالحَربة في جَنب المصلوب على صليب اللعنة، ووَسط القبور تَقيأت دَمًا ودُودًا، اختلاط الدم والدود والتراب عندما رأته عيناي طمأنني أني بدأت السَكرات والنهاية اقتربت، أخيرًا سأجد مَبغَى المَعبد، الفَناء دون إعياء، الرُكود والسكينة، السُكوت والكِتمان، ومواجهة السِر من بعد الاشتياق.

القبور حولي كأنها ليالي عُرس كئيبة لخَليلَة تتَعَرَّس اغتصابًا، يرقص في حوضها فرس هيكله عِظام مسوسة، ولحوم طازجة، وأكباد متعفنة، ابتعدت أكثر عن الجمع والناس بِئس المُعزيين، دخلت إلى الداخل وجدت الكِلاب السَعرانة تَضبح حولي، وتجمعوا كثيرًا ما يقارب العشرة، لم أهتم، مشيت وتعمقت كأني أدخل رحم أمي في أمان، هواء التُرب في الشتاء له رائحة مُميزة، رائحة مختلطة ما بين الزهور والصقيع ورائحة الأسرار، نعم الأسرار لها رائحة، الكلاب عَوَتْ وكشَّرت عن السُعار وهي تطردني من مناطق حِمايتها، لم أهتم، الكلاب غبية تحترم العِشرة والذكاء، وسط "العوعوا والضبح والزوام"، دخلت أكثر لأسمع صوت بني أدمين، خرجت من مناطق الكلاب ورجعوا مهزهزين ذيول الانتصار، وأكملت أنا طريقي نحو اللاأعرف.

الصوت مُختلِج ما بين شباب وفتاة، صوت خائف وصوت ضاحك،

القبور عبارة عن أضرحة والأضرحة عبارة عن غُرف بعضها جديد بابه فوق الثّرى، وبعضها عُمره من عُمر المَوت بابه تنزل له لأسفل، جانبي الأيمن كان شاسعًا واضحًا لأن التُرب كانت تحت الأرض قديمة، جانبي الأيسر كانت الترب الحديثة، وصوت البشر كان آتٍ من هناك، على ذكري "زموخ" تسحبت مثله نحو الجهالة، وإشباع المعرفة في الحدث، الأصوات بدأت تعلوا وتتضح أيضًا، أصوات متزاعقة لجدل يحدث أو معركة ما، اقتربت أكثر حتى بانت رؤية ظلال في الظلام، الظلال كانوا بشرًا حقيقيين، فجأة وجدت "عنتر" الغبي بجواري بشكله البشع وفمه الفاغر والدود الذي يَرعُص فيه، ارتجفت رجفة جَعلتني أقفز من مكاني هاترًا حفنة تراب، تفلت عليه ولعنت أمه وأشرت له بأصبعي على فمي "شُششششش".

مُعاناة القتلة الآن فقط أعلمها، فغالبًا كل قتيل يموت فهو يحيا في عقل قاتله بصورة أو بأخرى، يعيش القاتل حياته؛ يتعامل مع أمواته وغبائهم وسخافتهم وعليه طول الوقت تحملهم، إنه مِيثاق فِطري لَدى القاتل أن يتحمل هراء أرواح هؤلاء طوال حياته.

وراء الضريح أركز بصري، وجدتهم ثلاثة أولاد... ممصوصة أجسادهم ومنسلة منهم بناطيلهم حد إلْيتهم، وفتاة بعباءة حتى في

ظلم الليل بانت ألوانها المنفجرة، تقمط رأسها بطرحة من نفس قماش العباءة، الفتاة من جسدها أعطيتها من العُمر سبعة عشر، والشباب من أصواتهم التي بين حادة وثخينة ملكتهم من العُمر نفس عمر الفتاة.

رجل على مرأة في تحدٍّ جسديّ مثل تحدي هِرة مع كلب بولدوج غليظ الرقبة، أيًّا كان جسد الاثنين.. دائمًا للرجل الفائقة وللأنثى الإذعان، الثلاث أولاد كانوا يحومون حولها مقَعقعين كالفِشة العائمة على موجة مياه، ساخرين ومُتجبرين، أراهم جَيدًا مع لسعة بَرد أحبَّت بنانها تُداعب عُنقي، جَلست على صخرة مَنْثورة من ضَريح قَديم، أخرجت سيجارة وعنتر بجواري جلس جلسة الكلب على الأرض يترقب هو أيضًا، لن يلاحظوني أبدًا ليس لأني أنا المتخفي، بل لأنهم يعتقدون أنهم مختفون.

الفتاة مثل يربوع بين شدقي ضَبع أوسطهم، تترجى أن يتهاون أحدهم معها، راحت لأحدهم وظلت تقبل يده بِعَيْبٍ أن يَردعهم.

من المُمكن أن يَكون هو أساس من عَرّفها عليهم، أو من كانت بداية القصة معها.

على غفلة وهي منحنية تقبل يده وهو ينظر لها بتجبر يضحك ويسخر ويشخر بضحكة نهيقة، لفاها واحد منهم الثلاثة لطمة على قفاها،

رنت، فصرخت البنت، ضحكوا، نظرت لضاربها ودمعت، تترجاه أن يفعل ما يريد دون إهانة.

ضِعة وهوان يمسحان نفسها في قُدس أقداس الخوف، دموعها مُهانة وذَليلة تتفر كراهية وعَذاب، لفاها الولد الثالث من خلفها لطمة على قفاها رنت أيضاً، صرخت مرة أخرى، جرت، من كانت تقبل يده مد قدمه بخبث كاهِن للأمام، عَرقلها فسَقطت على وجهها، ضَحكوا ضحكًا مُهينًا عليها وهي ضعيفة.

مُقدمة السِيجارة تَهيج كقاع جهنم مِن تَنفسي لها، وأنا أشاهد ما يحدث كأني في سينما بتقنية ثري دي، أطلقت قليلاً من الدخان من صدري، وأحتفظت بالبقية رشوة لرئتي.

أحدهم فك أزرار بنطاله الساقط، سَيَّبَ عضوه الذي يشبه رأس ثعبان هزيل، مال عليها وهي تزحف باكية الاحتقار، مُبتعدة عن المَهانة، الآخر أخذ الحِزام وأمرها أن ترفع العباية، رفضت، ضَربها عَلى جسدها وهي ساقطة، صوتت.

أنا أراها، ولا أتحرك، أنا راضٍ، أنا ساكِتٌ، أنا أعاند بهدوء في الصامت الأعظم، لن أتحرك طالما يَرى هو الحقارة ولا يتزحزح، ينظر الدناءة ولا يتكلم، يسمع الانحطاط ولا يهز له ساكنًا، هل هذه قسوة؟ أنا حكيم

مثلك ولن أتدخل في حُكمك.

*****

الوجع والألـم خير زَرِيعة للكلمات حتى ترسم قصة وها هي اللوحة تناديني، لوحة من المجون الخُلُقي، العَطب النَفسي، الخلل السيكوباتي لشبية البشر الذي يُدعى إنسان، لعلك جعلتني هنا الآن، وجعلت الألم مصبوبٌ صبًا في نفس هذه الفراشة لأجلي، لأجل مُتعَتي وفنائي، سأكتب وأكمل عنها وعني.

غباء الكِتابة أنها تكتب صاحبها لا العكس، يمسك هو برحم المداد ليتقيأ أفكاره على ورق، يعتقد أن هذه صنعته وخليقته، لكنه في الأخير يكتشف أن ما سطره هو الذي تملكه، يصير عبد الحرف وراهب الفكرة، بتول عن الواقع حتى يجد قصة فردوسية عذراء يفض هو غشاءها بحنان ووهج، يبحث عن أصل وفصل قصته بعد اعتناقه إياها، يُفطر فؤاده بمعرفة من اغتصبها قبله حينًا، يمقتها، يرذلها، بل يقتلها بحنق ودماء ويطمسها بغشاء بكارتها الزائف.

يا صديق لا تفعل في نفسك ذلك، إنه مُجرد تَوارد خَواطر

يوم لُعنت لم أفهم لماذا الكِتابة لَعنة؟ لماذا الكتابة هي ما ستُحيل بيني وبين المَنِيَّة، لم أدرك حينها المغزى.

الخلق فِعل يَستنفذ الخَالق، حتى اللّه نفخ في آدم نفسًا، تأليف الحرف أشرس أنواع الخلق، يجعلك نقيضًا ومُضادًّا، يَجعلني ليس أنا، وعندما أزيد بحثًا أجد أنه أنا، فأعيد الكرة لأصنع شيئًا مختلفًا عني أنا.

تبًا.. لن يفهمني أحد، لا أعتقد أن أحدًا سيفهم ما أعانيه مع هذه اللعنة، أن أكتب رواية إنه لشيء بغيض وكَريه، لكني لن أتنازل عن هدفي أن أضمحل وأفنى مثل الباقين، أن أنال الحرية والعتق من الفراق والألم المستمر، أن أشعر بالنهاية، الناس هنا لا يعرفون قيمة أن تشعر بالنهاية، إنه الأفضل في الكون، أتعلم لماذا؟ لأنه ببساطة آخر شيء ستشعر به.

أنا إن كتبت هذا في كتاب، فأعتقد من سيقرأ هذه الصفحة سيقطعها ويمسح بها خراء شرجه، ثم يلقيها في السلة بفرح إنه انتقم مِمّن هُم مِثلي، من سيتعاون معي هو من عانى ألم اللعنة الملعونة، إرهاق ومعاناة، لذلك جميع هؤلاء الملعونين بحق أجدهم يمتلكون كبرياءً لا مثيل له، يهينون الدخيل الذي بزق هراء إليته دون خجل، من داخلهم مشوهين من تعنية ما يتقيئونه في ورق لشخوص وأحداث وأمراض وموت وحياة وزنى وعهارة وخيانة وولادة، يجعل البطلة تخون البطل في الحكاية، ويذهب للنوم مع زوجته في الليل ينظر في وجهها وهي

ناعسة ويسألها في نفسه "هل تخونينني مثلها؟" فترد نفسه "يا غبي زوجتك حقيقة، هي خيال" فيرد هو "منبع الخيال هو الحقيقة" ثم يغمض عينيه وينام وسط حطام فصامه.

*****

أحدهم أمسكها من خلفها، ولف يده حول رقبتها ليخنقها إن هرولت أو صرخت زيادة، فاستكانت من القهر والكثرة، آخر رفع العباية من الأمام ليكشف عن بنطال مهترئ، من مكاني البعيد شعرت بخجل الفتاة من هذا.. كونهم شاهدوا هذا البنطال.

الفتاة حتى لو كانت على وشك الاغتصاب لكنها في الحقيقة تهتم لمنظرها أمام مغتصبيها، فأولاً وأخيرًا ما يغتصبونها لأجله هو أنوثتها بالنسبة لها، أما بالنسبة لهم فهو موطن عِفتها أو "الخُرم" كما يتخيلون.

أيًّا كان سوء الفهم عند المغتَصَب والغاصِب، فالفتاة لا تُبالي بكل هذا، على الأقل إن كانت ستُغتصب فهي تريد أن تكون أنوثتها تستحق العناء التي تعانيه وستعانيه.

ضحك عليها الولد عندما رأى البنطال المهترئ وهو يسخر منها ببذاءة ورجس نفسي، الفتاة انهارت في البكاء وهي مُكَتَّفة.

تبًا لي.. أريد أن أدون هذا فعلاً، فلتذهب يا ذوق إلى الهاوية سيظل يُتأتأ ويتملص، أنا أعلمه هذا القذر فهو لا يخرس، سيقول هو مجنون جنسي، وفي الحقيقة إن الحياة كلها أصلها وفصلها هو وصلة جسد برحم عاشق، لي في هذا المكان زمان قدرة أجيال، رأيت الرجال ينظرون للرجال وهم يلطعون مؤخرات وصدور البنات في الحواري والأزقة ويصمتون بجُبن فاحِش.

عَفوًا الرِجال لا تَصمُت، يَصمتون.. فقط دون رجال، رأيت فتيات وهُن مُتحرقات كلهب الشموع فيما بينهن وأمهاتهن يلسعهن بالوئد الجنسي أيًا كان، الجميع أساسًا يَركض مثل البطريق نحو محيط الجِنس دون أن يَدري، الكُل جِنس والجِنس كُل،.. تبًا للجميع.

سأكتب... لديَّ إلحاح نحو ما أراه يحدث في هذه الفتاة، يجعلني أُريد أن أُسطر ما أستحسُّه يحدث داخلها من فقدان تدريجي لكل شيء يخص نفسها، أُنوثتها، طفولتها، كرامتها، حياءها حتى ولو كانت عاهرة وأتت برضاها، لكن ستظل إنسانيتها تحتفظ بحياء فطري يحيل بينها وبين إرضاء هؤلاء الذكور، المشهد حيواني مُطلق، جردوها من ملابسها كلها ليضيء جلدها الأسمر على ضوء القمر، أريد أن أمسك خنجرًا وأبقر عيونهم وأجعل الفتاة تأتي بقدم كرسي وتغتصبهم في شرجهم بجنون ومجون، وهم أيضًا يغتصبوهنا بالتبادل وهم يذبحون

فيها وتعيش مع كل نحرة عامًا زائدًا حتى تصير مثلي خالدة.

الفتاة تبكي وتبكي وتصرخ وتتأوه من غشم إدخال أحدهم إياه بين شفريها.

المهم.. أن الثلاثة يريدون تطبيق فيلم بورنو على الفتاة، أحدهم ينكحها في فرجها والآخر في دبرها والثالث يمسكها من شعرها ويدخله ويخرجه في فمها، الموضوع بالنسبة إلى الثلاثة هو أنهم اختاروا أن يصيروا أبطالاً، والبطولة تقترن بما يشغل العقل ويستذيبه كالإله الصغير أو الصنم الحقير، بطولتهم كانت نضاحة أمخاخهم وفيض حرمان منيهم المُعذب، فقرروا أن يقتلوا هم الحرمان في زنزانة هذه الفتاة.

والعجيب أنهم فعلوا، والأغرب أن هذا حدث بسهولة وسلاسة، ولكن بضِعة ومَهانة من نَاحية البنت، كوني طبيب نفسي استثار هذا المشهد عقلي بشغف، الفتاة أصبحت راضية بل وأحيانًا سمعت من بعيد ال "أأه" خاصتها مُستحلاة في عُقد من عَقيق الشَبق، الثلاثة يذلونها كالدمية، وهي انبعجت انبساطًا من هذا، المازوخية شيء حقيقي، نعم أنا أعلم، حب التذلل والإهانة والشعور بالقهر الجنسي لحظة الفعل الجنسي أحيانًا ينقلب إلى شبق، كل هذه طباع بشرية أنثوية، وبما أن

الجميع داخله الاثنان فأحيانا يطال هذا الأمر الرجال، العامة يتقززون، وإن حكيت هذا في وجه فتاة أعلم أنها ستلطمني، لكن الحقيقة أن هذا داخلها بدرجة ما.

هذا المشهد الإيذائي البَديع سحلني نحو حقيقة كنت قد أدركتها جيدًا، وأقول أدركتها لا فهمتها، فالفهم لا ينم عن خبرة، أما الإدراك فشيء مختلف، شيء عشته فعلاً بين هؤلاء البشر وهذا الشئ هو أن...

الإنسان كائن جميل قذر.

كل هذا لم يأخذ من الوقت تقريبًا عشر دقائق، وهذا أيضًا سر كُرهي للنساء، فالرجال لا يستسلمون مثل النساء، الرجل عنيدٌ وغبيّ وحماسيّ وعنده استعداد أن يموت من أجل ما يرنوا إليه، لكن النساء لسِّنَ هكذا البته، غالبًا الأنثى كائن داهي، خبيث، يستغل جسده للمساومة والإقناع باحترافية لا نظير لها، يا إلهي حتى في الغير عقلاء الحيوانات تجد الذكور يتضاربون عليها، وهي في ركن مستكينة مستمتعة بشدة الصراع، والأنسب هو الأَمن والأَمن هو الأقوى.

الأولاد جروا وهم ما بين سكارى من قذف الإغتصاب وما بين فرحين بإتمام مُخطَطهم. تركوها وحيدة.

شَعرتُ مِن بَعيد بِحطامها الفَج، الفتاة خِلصت، إنتهت، شعرت وكأنها

قذرة وعاهرة الرائحة، أنفها ما زال يستنشق نجاستها التي وسمت بها روحها، وهذا هو الفرق عندما تمارس المرأة الجنس، وتغتصب، عندما تمارس تشعر بأنها عشتار وبعلها هو جلجامش مُضاجع الربَّات، أما في الغصب فستشعر مثل آدم أنها عارية.

حتى لو كانت باغية بالفعل، فالباغية أحيانًا تتعايش مع الوضع بل وتعشق كونها عاهرة وصاحبة متعة، أما هذه الفتاة فهي شعرت أنها في قيمة العاهرة، وجعها كان في القيمة، الجوهر الداخلي للحاجة إليها لم يكن جمالها بل عِشها، وذلك حدث عندما تركوها وجروا منها كأنها شمطاء مُثرمة الضروس مستندين على المثل الذي يقول: "خبئ الوِش والعب في العِش".

الوحدة التي ربطت على قلبها كريهة مثلها مثل رائحة عنتر الذي يبكي بجواري كأنه يسمع مسرحية حزينة، وينظر إليَ في استغراب، وأنا أمتص سيجارتي البرجوازية واضعًا رِجلاً على رِجل ببرود انجليزي أصيل، يسألني مشمئزًا "كم أنت خسيس يا يحيى! تقف وترى كل هذا، ولا تفعل شيئًا".

عشنا ورأينا على آخر الزمن؛ المَيت يتكلم عن الإحساس.

الفتاة هنا تحليليًا كانت مُقددة نفسيًا، اكتسبت عاهة روحية تُعايرها

لاعقة اللسان في الصلاة والدعاء أمام المَولى، حتى ولو حدث ما حدث في الخفاء، لكن تركها وحيدة هكذا جعلها عارًا على نفسها، تسأل نفسها ألهذه الدرجة أنا رخيصة؟ وشعورها بالدناءة كان حقيقيًّا.

ما يُرهقها هو استمتاعها بالذي حدث ولو نسبيًا، فهي من دموعها الصامتة التي أراها تهطل، وضوء القمر يرسل عليها سهامًا من اللمعة قالت لي لغة جسدها "إني رخيصة يايحيى، استمتعت بالذل ورضيت به، وهو لم يرض بي، وتركني وحيدة"، المشكلة العويصة التي تعاني منها هذه الفتاة هي الوحدة، إلى من ستلجأ.

أنا أيضًا ما يجعلني أفقد صوابي باستمرار هو الشعور بالوحدة، الوحدة غبيةٌ كالجحش العنود، لا ترحم مثل شيطان خانته شيطانة مع ملاك وسيم، أعتقد شخصيًا أن الوحدة والشيطان شيءٌ واحدٌ، أغلب المَمسوسين يَحدث مَعهم هذا وهم وحيدين، في العيادة أغلب من يأتي لي من حالات إرهاق نفسي يأتيهم شك بالفعل أنهم ملبوسون من الشيطان، وكلهم دون استثناء يعانون من الوحدة النفسية. وسط الجموع يعيشون لكنهم من الداخل نفوسهم غريبة ومُحرجة وكَسوفة مِن الآخرين، أحاسيسهم تتمشى في صحراء صفراء جرداء وحيدة دون مَعيةٌ من أحد.

سأذهب إليها، مُعاناة الوحدة غالبًا تتلاشى عندما يتلاقى وحيدٌ ووحيد آخر؛ الاثنان سيظلان صامتان بجوار بعضهما دون كلام، كلاهما ينظر في اتجاه سارح في أشياء ليس لها أي معنى سوى التوهان، لكنهم يستأنسون ببعضهما بالوجود في الجوار.

قمت من صخرتي التي أحببتها جدًا، وقام خلفي عنتر بدوره وعفنه فرحًا أنني سأتدخل في هذا، حتى وإن كنت صمتُّ في الفعل نفسه، لكني سأتبع قرينة: "يجرح ويعصب، يسحق ويداه تشفيان".

كانت لا زالت عارية ومنكشفة، تنظر للتراب وتبكي وتشهق بمرارة كالطفلة الحساسة، لم تلحظنِي من بعيد، بجد وليس مبالغة كانت من أعظم لحظات خلودي وأنا أقترب نحوها.. لا أعلم لماذا، لكن الألم الذي كان يقطر منها، كان بديع الجمال والوصف، أعترف أني لم أر في أبديَّتي هذه مثل هذا الصدق، نعم هذا هو الذي أريد التعبير عنه، الصدقُ، الألم دومًا صَدوق؛ لذلك أبدًا لا تُكَذِب أليمٌ.

كنت أقترب منها، وأرقب تفاصيلها كأني أشاهد التاريخ، كانت حالمة، حزينة، جالسة بيدها اليسرى خلف ظهرها تسند جزعها، قدماها ممدودة أمامها؛ قدم مكسوفة تغطي قدمًا خائفة، ويدها اليمنى تمسك في تراب الميتين، تفركه بسرحان وطيبة، ترفعه ثم تبكي بحرقة،

تترك التراب ينساب بين أصابعها، تبكي أكثر وتشهق وتسعل من أنفها مخاطًا لا تمسحه، تئن كاتمة بعض نبرات البكاء، ترفع بعض التراب، تفركه وتتركه، تسرح ساهمة في خبرة الموت والتراب بين كل ترابة وترابة، تبكي وهي مُتعرية وصادقة ووحيدة حد الحياة.

وصلت لمرآها، أضّحت تستطيع أن تلمحني الأن، مازلت أنا أتبع سيجارة تبصق لهيبها في لثم سجارة متتالية، لا أحد يعرف قيمة هذا الدخان إلا أنا، خطواتي أضحت مسموعة لها، لكنها لم تسمع، كانت سرحانة في سكون رهيف، وعمق كأنها راهبة تُمارس الصمت بحرفة في خشوع ربوبيّ، حتى بات للصمت ضجيجًا يفصلها عن البقية، اقتربت منها آخر خطواتي ووقفت أمامها، رأت رجلي أمامها، ارتجفت من بعد البَهتان، فشاورت لها بيدي أن تثبت ولا تتحرك لتهدأ، فوجدتها عكس ما توقعت تمامًا، صرخت وفزت ناطة ثم جرت وهي عارية، توقفت بعد مسافة ورجعت راكضة مرة أخرى، نتشت عبائتها وبنطالها، وجرت مرة أخرى مبتعدة.

كنت لازلت مستغربًا ردة فعلها، فأنا من مدة أراقب وأحلل نفسيتها وأنا أطلق الدخان من فمي مغمضًا عيني نصف غمضة في هدوء نسر يرف فوق المحيط، شعرت أني فرويد الزمان قائلاً إنها وحيدة ورسمت في

خيالي أني سأحتضنها وأستمتع أنا بالصدق النازف من ألمها وتستمع هي بعطفي، أربِّت على كتفها وأنا أحنو عليها في سكون، فتبكي هي ثم تبكي ثم تهدأ، ثم آخذها أرتب لها عملاً وتكون بداية لرواية من التغيير، لأشعر أني إله يقدر على جعل الناس سعداءَ ليس كبقية الآلهة، وبعد كل ذلك أجد رد فعل معاكس تمامًا، تبًا لي!

دلدلت رأسي كالزراف عندما تشرب، وأنا استعجبُني بعد كل هذه السنين عجزت عن قراءة فتاة صغيرة، فقلت في سِري وأنا أنظر لتُراب التُرب "أحا".

مكان الفتاة التي هربت أنا وقَفت، بدأت أخلع عني قماش التزوير الذي يحجب عني الشعور بالكون، خلعت كل شيء صرت عاريًا مثلها في الشتاء، في الليل، في المقابر والأضرحة، جلست مكان ما كانت جالسة الفتاة، نمت وفردت أوصالي براحة وامتطاع، يداي ورجلاي، انسدحت على التراب والبرد زمهيرير، "أأأح"، كأني مصلوب على صليب من تراب صقيع، أخذت أحرك يداي ورجلاي كأني أعوم على ظهري في مياه نيلية ثقيلة، جلدي يتحسس تراب الأموات وينتحب من السرور والبهجة، شعرت بشعورٍ لطيفٍ، دغدغة وقشعريرة.. حرية.

جبلت ترابًا في يدي كما جبل الرب الإله أدم نفسًا حية، رششْت التراب

على صدري من أعلى، غمّر البهجة التي أحاطتني عظيم، الموت رائحتة حلوة عكس ما أشم في الجيف، رائحة الموت كفعل تختلف عن رائحة الميت كجسد، بجواري كان عنتر يقلدني، كما أفعل أنا، هو يفعل، صرت أستلطفه نوعًا ما، ضحكت عليه وأنا أراه يفعل ما أفعله، كأنه طفل يقلد أباه في عته وخطل، فضحك هو وقهقه هو ودوده، الدود أيضًا أصبح يضحك بصوت رفيع كنميم الفئران، ضحكنا أكثر نحن الاثنان على ضحك الدود الأهبل، الضحك عَدوى، انبسطنا حتى الثمالة.

حينها فقط أخرجت من حقيبتي ورقًا وقلمًا... وبدأت أكتب.

*****

obeikan.com

الطبيعة أم الجمال.

obeikan.com

obeikan.com

الوحشة

٨

دخلت عليها الغرفة، كانت هذه المرة غريبة ليست كالمعتاد، هي في العادة كاهنة الأنوثة وتوراة الدلال، إنما حينما دخلت عليها من بعد أول فصل لي في الرواية... تبًا ليالي تغيرت، ما هذا؟

- ربما أنت الذي تغيرت أيها الأخرق.

- و لِم أتغير أنا؟

- لأنك بدأت تموت.

- و ما دخل هذا في تغير ليالي؟

- أثناء الموت نظرتك لكل شيء تتغير.

نظرت لها وعقلت الموقف، هل يُعقل أن تكون هذه الفتاة بهذا القدر من الحلاوة والجمال البسيط، أنا مذهول فعلاً، كانت ناعسة من ضرب يوم الدفن والعزاء عليها، هذا قاسٍ على فتاة في مثل عمرها، أرسلت لي رسالة طلبت أن آتي مباشرة أبيت عندها هذه الليلة.

obeikan.com

شعرت بي عندما فتحت باب غرفتها، ولأول مرة لم أرها بثوب نوم، إنما رأيتها ببيجامة بيت عادية جدًا، ملفوف شعرها على شكل كعكة يخرج منها بضع خصل متمردة، عيونها منتفخة من التعب، وشفتيها محمرة ومنتفخة أيضًا.

رميت المفتاح على الكمود بجوارها، وجلستُ جنب جسدها، كانت غريبة أو عادية بغرابة، أو مستقرة، لم أعلم أنها يمكن أن تكون مستقرة في يوم ما، حياتي الطويلة جعلتني أعتقد أن نظرتي في الناس ثابتة وجامدة، جعلتني أشعر أني خبير لكن ها هي ليالي، تضيف لشيب شبابي خبرة، وهي أن الخبرة لا تعطي خبرة ولكن التجديد يفعل.

عفوًا! صحيحٌ لم أصف لكم شكلها.

هذا هو شكل ليالي، "فتاة يعجز الجمال عن وصفها"، ضع في خيالك أجمل وجه أنثى، وتخيل أن هذه هي ليالي، لأن هذه هي الحقيقة وليست مبالغة، هي فعلاً "قمر" أو درة من الزمان، لن أظلمها بوصفها بشِعر أو زجل أو رنة حرف بعد حرف يجعل العقل ينتشي، الخيال الحُر هو الأمتع؛ أنا كاتب وأعلم كيفية جذب الانتباه بالحرف والفصلة، أما هذه الفتاة فهي خسارة في الكلمات.

وضعت يدي على شعرها الأسود جدًا مثل ليل حزين، أصابعي غاصت

فيه وهو لامع وحرير، تغنجت وهي تموء كالهرة، تحب هي هذا.. أن أُملس عليها، وأحيانًا كثيرة كانت تموء كالقطة فعلاً، وأنا معها في حجاب المتعة.

الآن أنا مرتاب من نفسي، يجب أن أتوقف عنها، أنا في طور الموت الآن، هذا هو هدفي، نزعت يدي من بين خصلاتها زيتية الملمس، وهممت لأقوم عنها وأرجع شقتي، وهي نائمة ومغمضة عينيها تحركت يدها تبحث عن يدي، فوجدتها، قربتها من فمها، وبشفتيها القرمزية اللون قبَّلتها بعشق، قبَّلت يدي كأنها تعلم ماذا تفعل، ثم حضنت يدي ووضعتها تحت وجنتها ونامت عليها، كأن يدي ليست لي إنما لها، وهي تحتاجها الآن.

اقتربت من أذنيها الصغيرة في حجم أذن طفلة، حلمتها طرية وبيضاء، قلت داخل صيوانها في همس.

" أنا بكرهِك.. يا ليالي"

لاحظت هي كلماتي، دون أي حركة منها سوى حبالها الصوتية، وترت وقالت.

"لأنك بتَعشَقنِي"!

فقلت لها.

"ليه؟"

فقالت.

"لأني عَشِقتَك من قبل ما تعشقني."

فقلت لها.

"المفروض أعمل إيه عشان تكرهيني؟"

فقالت.

"مش هاتقدر تعمل حاجة."

فقلت لها.

"ليه؟"

حينها تململت وصحصحت وأخذت في عقلها أنها يجب أن ترد، اعتدلت في زرزرة عصفورة تريد أن تهرب من قفص.

"لأننا لبعض، أنت مش هاتقدر تعيش من غيري، قتلت عنتر علشان تخلصني منه، وده أكبر دليل إني كنت صح لما اخترت أن أموت في هواك."

obeikan.com

قالت هذا بحدة، ثم دفنت رأسها مرة أخرى للوسادة لتكمل نومها فقلت لها.

"لكن أنا خنتك، وبخونك، وهخونك."

فقالت.

"مش مهم.. أنت كنت بتعشقني، وانت عارف إن عنتر بيشوفني عريانة، دلوقت جه دوري أتحمِّل."

صدمني ردّها، هذه الفتاة إما معتوهة، وإما تريد أن تنام بشدة، أنا أعرف الإناث عندما يشتد عليهنَّ النُّعاس.

"عايز أقتلك يا ليالي."

عدلت نومتها على ظهرها، وخلعت بنطالها، وهي ترفع حِقها لأعلى حتى انسلت منها الكلوت والبنطال، ثم فتحت قدميها وفشخت شفريها ببنان يديها وقالت وهي تتثاءب.

"بسرعة".

obeikan.com

obeikan.com

شِئْت أم أبيْت، الكتابةُ شيءٌ مُخيفٌ

obeikan.com

obeikan.com

بَدء

٩

تقيَّأتُ هذه المرة أمامها، وهي تقف في المطبخ تُحَضِر لنا الغداء، كان المنزوح من فمي دمًا، اقتربت على وهي ممسكة بالمعلقة الكبيرة، عيناها مخضوضتان عليَ، أتكرع وأتبوع أنا، وأبصق كالغريق موادّ ومخلفاتٍ أدمية، صفراء وخضراء، مقزز جسدي وهو يموت، الحيوانة لم تبال بالقرف، بل أتت نحوي "اسم الله مالك يا حبيبي؟"، فتحت الحنفية وكوعت كف يدها تحت مجرى المياه، حوشت المياه وغسلت بها قيْئي، تغسل وتشطف فمي وتلمس قيْئي دون اشمئزاز، وأنا مستسلم تمامًا لهذا، ما بين مرهق وضائع وما بين راضٍ بما تفعله لي من خدمة، "مالك يا عمري حاسس بايه قولي؟"، لم أبال بسؤالها، كأنها لا شيء.

أفلتُّ نفسي منها، وذهبت نحو الصالة، جلست على كرسي، غبيّة، لا تستسلم، أنا نفسي لا أعلم هل هي تفعل ذلك عن قصد، أم هذا قصور ذهنيّ مولودة به، تركت المطبخ والتصقت خلفي، وهي تكرر السؤال عن حالي ومالي، وما الذي أشعر به، الموضوع مستفز وهي حنونة

فعلاً، وأنا قاسٍ ولا أهتم، أشعر أكثر وأكثر أنها مستفزة، تُكرر ثم تُكرر، تبًا لكِ! أخيرًا زعقت في وجهها ونهرتها أن تبتعد عني وتدعني لحالي، لأجدها تنظر لي وعينيها تترقرقان مرتعشةً، ثم الخطوة التالية النهنهة ثم الثالثة الدموع.

بكتْ وهي تظل تسأل عن حالي، وتفسر لي أنها خائفة عليَ، وتريد أن تراني سعيدًا ومُعافًى لا أكثر، من الواضح أن التعامل معها مُحال، قُمت من قعادي ومشيت نحو الباب خارجًا لأتخلص من زنِّها الذي سبَّب لي ثُقبًا في نافوخي جعلني أسمع كلامها دون أن تتكلم مرارًا وتكرارًا، مثلما كان يعذب هتلر أسراه عندما يضعهم في زنزانة، ويدع الحنفية تقطر ماءً على سطح صفيح بصورة رتيبة، ويكون هذا هو الصوت الوحيد في الزنزانة، بعد فترة من الزمن سيتجنَّن الأسير ويبدأ في فلق رأسه في أقرب حائط ليتخلص من هذا الصوت المتكرر، لدرجة أن الصوت يصير في الأذن فعالاً، حتى ولو الصوت الأساسي اختفى، هذا هو ما تفعله ليالي فيَ عندما تكرر الاستجداء والسؤال دون ملل، عدم يأسها مني يجعلني أشعر بيأسي من نفسي أكثر وأكثر، أشعر وكأني "حلوف" وهي ملاك، لا أعلم أن الملائكة تنجذب لـ "حلاليف" لكنها فعلت.

رزعت الباب خلفي في قرفٍ، توجهت تلقائيًّا أريد أن أرى دربًا من الجنون، سئمت هذا العبث، ربما أركب نوال من باب التغيير، أنا

أريد التهام إلهام جديد حتى أكتب، أتمنى فعلاً أن أجد اليوم حالة استثنائية، فأنا سطَّرت بدايات الكتابة، في خلال هذا الشهر أريد أن أُتِم هذه الرواية حتى ألفظ مع آخر حرف آخر نفس، لأذهب وأرى ما كنت محرومًا من رؤيته دُهُور وأوقات، عندي حماس ملهوف، لكني أصلع الفكرة وفقير القلم، وهذا هو جحيمي الحالي، أبعد كل هذه السنين العبثية أموت لأجل رواية عادية؟!، لن تكون مميَّزة في شيء.

أمَوْتُ شخصٌ مثلي يجب أن يكون عاديًّا هكذا؟!

...

- ركز أبوس إيدك... أنت تُريد أن تَموت أم أن تَحيا؟

- بالطَبع أريد الاثنين.. أن أصير عاديًا... أحيا ثم أموت.

- إذًا يا بغل السِكك وكَلب الأزقة... لماذا تُفكر كَثيرًا فيما سَيحدث بَعدما تموت، حاول أن تستمتع بالموت ودع الحياة للأحياء.

- أنت حيوان... لازلت أيضًا لا تفهمني... حتى صوتي لا يفهمني.. تبًّا! أنا كل ما أبحث عنه هو قيمة موتي، كل حيّ يجب أن يعلم أن للموت قيمة، هذا ما أريد أن أقولة يا بقرة، أريد أن أستثمر موتي في شيء يحيا وحيدًا دوني، لكني لا أريد أن أجعل ما سيعيش بعد موتي حياته

قصيرة أو مريرة.

- أنا لستُ بحيوان، بل أنت الحمار يا حمار، أنت تتعامل مع رواية (شيء مكتوب) وليس طفل، اكتبها ولا تخف منها.

- نعم عندك حق! أنا خائف منها فعلاً.

- وستخاف من الكتابة حتى لحظة موتك، هذه هي اللعنة.

*****

obeikan.com

ويْحك أيها الكاتب، إنْ وَجَدَكَ مكتوبُك

obeikan.com

obeikan.com

كاتب

١٠

نزلتُ من مدخل العمارة وأنا متضجّرٌ من كلام ليالي، رفعت عيناي لأعلى، هنا رأيتك أيها الحثالة، وأنت تمسك ريشتك المنكوتة في مِدْواتك وحبرك وتراني من نافذتك، هل في هذا هي اللعنة؟ الحبر!.

دونًا عن الجميع في هذا الزمن، تكتب أنت بحبرٍ أحمر وريشة حصيفة خصلة منها سوداء والأخرى بيضاء، تراقبني يوميًا وأنت تعرف كل تفصيلة أفعلها لأنك تكتبها، ها أنت ذا، إلهي الشرير وربي المغرور الذي صنعتني في زنزانتك الورقية.

أرى عينيك هنا من أسفل، وأنت تنظر إليَ من نافذتك، وأرى تفاصيل وجهك وهي باردة مثل وجهٍ منسيٍّ في ثلاجة موتى، أرى فمك وهو ينفث الدخان مثل التنين من أنفه، لدرجة أنك جعلت هذه العادة فيَّ، أنت لقيطٌ في أفكارك، ومختل وتتلاعب بنا جميعًا، حتى تموت، أنت تجسد

جنونك فيَ أيها الوغد.

نعم أعلم انك تعلم اني أراك أيها الكاتب القبيح، أنت جاري، تسكن في الطابق الرابع المقابل لطابقي الرابع، ننظر كلانا لبعضنا البعض من النوافذ طوال اليوم، أنا بجواري زموخ وأنت بجوارك سِجني في أوراقك، أعرف ما تفعل، وسيأتي يومًا أكتبك أنا فيه، وسيكون الكتاب عبارة عن رواية تفصيلية عن العذاب، وأنت الضحية، سأجعلك تعلم ما قيمة أن تكتبني.

فأنت خجل أن تواجهني ليل نهار، تنظر إليَ بسيجارتك، تراقبني مثل ذكر القطيع وتتلبَّسني بكلماتك وحروفك وفصلاتك وحتى الهمزات، وعندما أرى يدك تتحرك أعلم أن هذا قدري، عيناي تتسعان من الرجفة والخوف عندما أراهما تكتبان، كتابتك تعني يومي، ويومي يعني نفير بوقٍ في أذن أصم، أو بمعنى أدق لا فائدة لي إلا لك، والإشكال أنك لعنتني وإياك طالما أنت تعيش فأنا أعيش، وسنموت كلينا عندما أنهي أنا روايتي التي أنا أكتبها وأنت تكتبني داخلها.

سآتي لك أيها الغُلفة، سآتي لك.

*****

أصل الذرات، حروف صنعت مَعنى.

obeikan.com

obeikan.com

جيجا

١١

"هنا أنأ أنظر على الكاتب الذي خلقني أثناء أول مقابلة لي مع چيچا الذي كتبته أنا"

الشارع الذي أتكلم عنه مكنونٌ في ضواحي القليوبية (شبرا الخيمة)، الضواحي أحيانًا تذكرني بكيس الكاتشب المنفجر منه دم الغلابة والمساكين، عبارة عن ميدان صغير متفرعٌ منه خمس حوارٍ وعمارة ليالي على أحد النواصي الخمس وهي أكبر العمارات وأحلاهم، هذا الميدان مثل الصينية الطينية الصغيرة، في وسطها طبق خُضرة صغير الذي يسمونه المنتزة، في أوسطه عمود إنارة مُطَلْطِل منه مصباح كهربائي يهتز مع شدة وخفوت الريح في الليل، فيصبح ضوءه في الليل كأن الشمس تلعب مع أهل الشارع استغماية، ليل نهار، نهار ليل.

أنا أسكن في الطابق الرابع، والذي يكتبني يسكن في الطابق الرابع

المقابل، والذي يكتبنا نحن الاثنين لا أعلم أين يسكن، ابن المجنونة قلمه بدأ يتحرك الآن، تبًا... هَلُمَ خَبل.

أتعلمون ما هو أسوء شعور في الكون؟، "أن يكتبك واحد مَخطول".

...

ظهر الكائن وسط الشارع المقابل لمكان وقوفي. هربت وجريت منه، كان غبيًّا وشرسً، وقد رآني للأسف، رآني دون أن يملك عيونًا، أنا جديدٌ في الكتابة، ولم أعلم أنه سيجدني بهذه السرعة، فأنا حتى لم أكتب أحداثًا أو حبكة بكمال بعد، لكنه وجدني، أريد خبرة فعلية.

لئلا أُتعبكم معي، من أتكلم عنه هذا هو الشخصية الذي أكتبها أنا وسميته "چيچا".

"ميدان المعز في حي أم بيومي بمنطقة شبرا الخيمة"

الشارع بناسه كلهم عندما رأوا الكائن يجري نحوي، قاموا وخافوا هم الآخرين، هذا لم يحدث ولن يحدث أبدًا في حياتهم، أن يطاردك مَكتوبك لَهو شيءٌ مُفزع ومَقِيت.

ليالي سمعت الهوسة والدوشة من أعلى، أنا لا زلت مُسبهلاً لا أعترضه، وليس معي قلم ولا ورق، ليالي ناحت.

"اجري يايحيى جاي ناحيتك".

كان "چيچا" غريبًا، لم أكن أتصور أن خيالي قاصرٌ ومشوهٌ هكذا، كان وجهه بلا ملامح مثلما قصرت في وصفه، ليس وجهًا، بل عبارة عن جلد أملس مثل جلد بطن القدم، لا عيون ولا منخار ولا شفاه ولا أي ملمح، بل كل الذي كان يحتويه رأسه، هو شكل الرأس المُصمَت بجلد خمري، حتى الشعر لا يوجد.

هل هذا حدث لأني لم أصف وجهه على الورق، حينها تذكرت وجهي ونظرت أيضًا لأعلى في جزء من الثانية، وتذكرت أن كاتبي هو الذي جبل لي هذا الجمال في ملامح وجهي، ونظرت لـ چيچا في الجزء الأخر من الثانية، فهمت حينها الفرق بين كون الكاتب خبرة والكاتب مُستَجد.

أنتم تأخذون الموضوع على محمل خيال، وأن ما تقرؤونه الآن هو خيال مريض لكاتب أرعن، لكن هذا يحدث فعلاً الأن، انظر من الشِباك وسَترى، لن تخسر شيئًا.. انظُر واحكُم.

...

(أرواح المداد) هذا نحن، مجموعة من الكتبة الأبديين، كل منا يكتبه كاتب آخر، يولد كل منا من ذهن الآخر، وكل منا يُمكن أن يعرف كاتبه

ونسعى جميعنا لذلك، لكنه لا يعرف كاتب كاتبه أبدًا، هذا سر نقابل بعضنا به، ولا نعرف من هو الكاتب ومن هو المكتوب، فقط كل واحد يسعى ليعرف صاحب ألمه ورب قلمه ولا يشارك هذا مع غيره، يعني مثلاً أنا كتبت چيچا، چيچا لن يعرف من يكتبني وسيأخذ فصولاً وفصولاً قدرُها أزمنة وقرون، حينما يصل لحقيقة أنه مكتوب أساسًا.

كل منَّا يعتمد على إنهائه لروايته ليكسر السلسلة والدائرة المُفرغة من الحروف المتعفنة في مراغة الحياة، طبيعي أنا سأكتب كاتبًا، والكاتب سيكتب كاتبًا آخر، إذن فالقصة لن تنتهي، سيظل كل مولودٍ يلد، وكل مخلوق يَخلق إلى حين الأبد، سيظل كل كاتبٍ يثبت للآخر أنه هو الأحق والأجدر والضحية هي الكلمات والشخوص المبتذلة، لذلك في روايتي سأفعل شيئًا، لا أعلم هل كل هذه الأجيال غفلت عنه أم أنني عبقري، أم أنهم عرفوه وجربوه وفشلوا وتركوني لأستطعم طعم الفشل تأديبًا.

سأبحث عن الكاتب الأول صاحب أول رواية، الرواية، فنحن جميعًا مجموعة من الرويات مصبوبة كلها في خدمة روايته العظمى، ببساطة جدًّا سأبحث عن أول كاتب وأقتله.

السؤال الذي يغز سكينًا ثلمًا في تلافيف مخي هو "من سيفعل هذا أنا أم هو، الكاتب أم المكتوب؟!"

...

"يحيى حاسب يا يحيى" الجيد هنا أن الناس كانوا قد فرُّوا مثل سرْب نملٍ هرب من صباع طفل هدَّد طابورهم، جيدٌ أن تكون علاقتك في هذه الأماكن سرًّا إن اكتشف أحد أمرك؛ ستصير أُضحية العادات، ومُحرقة التقاليد في معبد الطائفية.

والنساء اللائي كُن ينظرن من الشباك، لم يُركزن مع صوت ليالي، وهي تحذرني لأنهن أيضًا كنَّ يُصوتْن بأسماء أبنائهنّ وأزواجهنّ وأخوتهنّ، كل من في الساحة كان يميز صوتًا أنثويًّا مُوجهًا له، الجميع يعلم صوت أُنثاه، بالطبيعة هذه الليالي صوتها حُفِر كوشمٍ على طبول أذاني.

جيجا أتى نحوي، أنا خائفٌ منه، شعورٌ غريبٌ عندما تواجه قبحَ خلقك، المنتزه وسط الميدان دائري، استغليته وصرت ألف حوله بهدوء لئلا ألفت نظره بالهرولة، أُراقبه وهو يحاول أن يجد أيّ أثر لاستشعاري، كائنٌ أعمى البصيرة، كبير الحجم مثل جليات عنتيل فلسطين القديم، تقريبًا يصل ثلاثة أمتار، ليس له أعضاء لا أنثوية ولا ذكورية مثله مثل جسم مانيكان عاري في محلات وسط البلد، لا ملامح، الفرق الوحيد أنه يتحرك ويشعر، شعرت به أنه يشعر.

إنه سجين، أنا أعلم شعوره، هو يحس أنه ينبغي أنه لا يجب أن يكون

هكذا، يجب أن يكون هناك نافذة يرى منها، إنها الفطرة، أشعر بصوته المكتوم داخل جُمجته، هو يريد أن ، أن يُزَمجر، أن يُعبر عن غضبه، أن لا يُعبر المرء عن غضبه لهو شيء يسبب الموت أحيانًا بالنسبة للبشر، أما بالنسبة "لأرواح المداد" فهو يتحول إلى حالة من التيه الذي هو أسوأ شعورًا من الموت نفسه.

أثناء دوراني حول المنتزة وهو يتتبعني، والناس تنظر، وتترقب من بعيد الذي سيحدث، بل في كثير منهم سألوا من هذا، وآخرين سألوا عن جيجا ما هذا، أطفال كثيرة تجمعت في فوهة كل حارة والناس بدأت تأتي وتتكاثر كأنهم فطرٌ عَفِن الخبز محفوفين على طرف الميدان.

فُلان قال لعِلّان، وعِلّان جاء، وتِرتّان رأى زحمة فِلّان وعِلّان، فقال أذهب لأرى، هذه هي القاعدة.

جيجا وحيدٌ، فقد الأمل دون حواسه، كل ما يراه أسود، وكل ما يسمعه لا صوت، هدوءٌ مُزمن يُصيب الحي بالكُفر والموت وهو لا يزال حي، هو فقط يشعر بي أنا، لأننا جزء كل من الآخر هو نفخة أفكاري، ومجلبة عطفي، هو جزء منِّي.

انسحبت أنا عند مدخل عمارتي، وركضت لأعلى نحو شقَّتي في الدور الرابع مع كل درجة أحجل عليها كالمجنون كنت أفكر فيه، أتذكر

توهانه وحيرته، أتذكر طفولة هذا الشيء، فتحتُ باب الشقة وذهبتُ كالجبان من الشباك الألوميتال أنظر لأسفل وجدته دخل المنتزة، وفي وسط المنتزه بالضبط جلس.

الأطفال والناس صاروا يقتربون عندما وجدوه يتقهقر، جلس وسط طين المنتزه وحضن بيديه ركبتيه ودفن رأسه وسط ركبتيه، تناولت الورق من حقيبتي، نظرت على ما كتبته، ونظرت على جيجا، ونظرت إلى النافذة المقابلة على كاتبي، رأيته يبتسم في وجهي ابتسامة غبيَّة، فيها عينه نصف مغمضة وشفتاه مغلقة، لم أفسرها هل هي شماتة أم استهزاء أم ماذا؟

الناس ابتدأت تعتقد أن جيجا حيوانٌ هاربٌ، أو كائنٌ فضائي واستسلامه وجلوسه في وسط المنتزه جعلهم يعتقدون أنه كائن غبيٌّ يعتقد أن هذا المنتزه هو قفص مثل القفص الذي كان يبيتُ فيه، وَجَعَنِي منظره وهو مهزومٌ، شعرت داخلي أنا بالهزيمة الحقيقية، شعورٌ قاسٍ أن أرى خليقتي منهزمة وتائهة هكذا، شعرت بعجزي عن كوني خالِقًا غيرُ جديرٍ بهذه الهبة، شعرت أني شرير وحقير، شعرت أني ضعيف، لا أستطيع أن أحمي مكتوبي، لأني كتبته خطئًا، ثقتي في نفسي وعمري وزمني الذي عشته انهَارَ أمامي، كل هذا وجدته في وجه هذا

الكائن المُستسلم الذي لا مَلامح له سوى مَلمحًا حَزينًا واحدًا عبارة عن اقتضابٍ واضح في جبهته.

نظرت له ونظرت لكاتبي مرة أخرى وهو ينفث من أنفه دخانه، وأخيرًا نظرت للوريقات ومزّقتُها نصفين، لأجد جيجا من أسفل قد انبتر هو أيضًا لنصفين، كأن جزارً شجه على قُرمة عفنة، دماء سالت، والناس خافت وتروعت، والأطفال بدأوا في الصياح والجلبة عند رويتهم له مشطورًا نصفين دون أن يؤذيه أحد، حتى الألم عندما جئت أخلصه منه لم أعرف، فأخرجت القداحة من جيبي، وجعلت الورق يحترق، وحروف الحبر تذوب، وفي ذهول من الناس جيجا يتحول تدريجيًا إلى رماد حزين.

*****

"الإنتقام لحوح مثل بظر هائج"

obeikan.com

obeikan.com

نقمة

١٢

ما حدث قد حدث وما كتبته احترق، كان هو لازال ينظر إليّ بنفس السيجارة والدخان اللانهائي الذي يتنفسه ويزفره مثل فوهة البركان، كراهيتي له الآن تضاعفت مثل خلية الأميبا عندما تنقسم ذاتيًا، مقت وبغض وعدائية تتوالد داخلي وأنا أنظر له، أنفاسي تزداد سرعة، لا أعلم لماذا؟ هل الكراهية تستهلك هذه الطاقة في الجسد؟ لدرجة أني صرت ألهث بصوتٍ عالٍ، هذا الرجل قذارته تكمن في صمته الدائم، حتى ملامح وجهه لا أعلم عن ماذا تُعبر، الغموض الذي أراه لا يفعل شيء داخلي سوى أني أريد أن آتي بساطور وأشق به رأسه، وأُخرِج دماغه وأسئل تلافيف مخه في يدي.. في ماذا تفكر الآن أيها القذر؟

دعنا نكون واقعيين، لكنك أمامي، وأنا أراك، وسأتخلص منك. سأقتلك.

نظفت يدي من رماد ورق رواية جيجا، ونزلت من الشقة متوجهًا له

بعنف كلبة مسعورة غضبانة على دهس جرْوِهَا، في الدور الأول قابلتني ليالي وهي تسأل عما حدث، عبَرتها كأنها ضوءٌ شفاف.

"ليس وقتك الآن ليالي"

نزلت من مدخل العمارة التي أسكن أنا فيها، كان الزحام شديدًا، الناس والأطفال وبعض النساء نزلت إلى الشارع بعدما تحول جيجا إلى رماد، جميعهم دخلوا إلى المنتزة وهم يتكلمون عن أن هذا هو يوم القيامة، ومسيحيّ يتحدث مع مسيحي أن هذه علامات سفر الرؤية، لم يُثنني كل هذا الشغب والهوسة، عما يجول في قلبي.

دخلت مدخل عمارته، وسؤالي هو بعد أن أقتله ماذا سيحدث؟ هل أنا سأموت لأنه هو الذي كتبني؟ هل الجميع سيموتون؟ هل سأرى الجميع كأطيافٍ تجول حولنا ونستحيل جميعًا إلى أشعة نور، ثم نختفي ويُسدل التتر مع موسيقى رتيبة.

وصلت الدور الثاني.

طيب.. إن حدث كل هذا هل سأتألم؟ ولو سأتألم هل سأتحمل هذا الألم؟ هل الموت مؤلم، هل أنا مستعد الآن للموت أساسًا؟

هل أنا مستعد للموت؟

هل انا مستعد؟

للموت؟

هل؟!

السؤال تكرر في ذهني للمرة المليار "هل أنا مستعد للموت!" أعتقد ما دمت مترددًا هكذا، فالإجابة خائبة، وصلت أمام بابه في الدور الرابع.

فتح الباب دون أن أطرق عليه، نظرت له كأني رأيت نجمًا سينمائيًّا مشهورًا لأول مرة في الطبيعة، نظرة بها رهبةً واحترامًا وعدم تصديق للحظة، أعطاني ظهره ودخل الشقة دون أن يرحب أو يقول أي شيء سوى بضع نفثات دخان زائد تركهم من آخر نفس نفخه وهو يفتح الباب، أعتقد أنه بهذه الطريقة قال لي تفضل دون أن يتكلم.

شددت من أزري وجمعت شتاتي، أنا أتيت هنا لهدف واحد؛ قتل هذا الرجل.

.....

obeikan.com

المُختلفين غالبًا، مُقَزِزين بدءً، مُمَيَزين نهايتًا.

obeikan.com

obeikan.com

الرجل ذو الوجهين.

١٣

"نوال.. نَو... نَو نواااااال.. إزيك يا حتة من صوباعي الوسطاني".

دائمًا أداعبها في خيالي كالمُراهق، ذي البثور الوردية على وجهه، لكني لا أقول لها هذا علنًا، النساء هنا لا تحترمن الحنان ولا المُداعبة، هنَّ يعشقن السفالة في إطار مُحترم، يعني يجب أن تكون معهن لعوب لكن بجفاء، وأيضًا يفتقدن الأمان، ولا أعلم من الذي قال لهن إن الأمان في الشكيمة والوهج الغضوب للوجه الرجولي، يعشقن الصَلد ويخنعْن للمُتحكم، والموضة الآن أن الفتيات يُحببن الرجل ذا اليد المُتعرقة بالأوردة النافرة، مقاييس غريبة لدى أولاء الفتيات كلها منحطة، النساء نفسها كائن مُنحَط، كائن مغرور وجميل، بل كائن جَميل بوقاحة، وأنا بطبعي وقحٌ جدًا، لذلك أجد أننا على وفاق.

"حمدًا لله على سلامتك يادكتور.. عاش من شافك ايه الغيبة الطويلة دي".

دخلتُ غرفة الكشف وهي دخلت خلفي، ضاجَعْتها بهدوء...

- لن أكتب تفاصيل أكثر من ذلك..

- لماذا؟..

- ربما يكون هناك من يتقزز عندما يقرأ

- يا راجِل كبر مخك فالكتابة وصف قُل قلُ ولا تخجل، هذه رواية وليست كتاب دين..

- نعم عندك حق هذه رواية، لكني لن أصف، حظك أنه ليس لي مزاج.

في العموم نوال ليست عاهرة، وليست فقيرة، على العكس تمامًا، لئلا تفكر أنني أستغلها.. لحظة.. تقنيًّا نحن الاثنين نستغل بعضنا البعض، هي خريجة كلية أداب قسم علم نفس، من عائلة محترمة جدًا وتسكن في الزمالك، ليس مثلي تقطن في شبرا الخيمة، لكن الفكرة كلها أنها تحب هذا، وليس لي ذنب أن يجد المرء الفتاة عاهرة لمجرد أنها تحب المضاجعة، الموضوع أبسط من هذا، هي لا تبيع جسدها، بالعكس هي تُمتِع جسدها، تعتني بفرحته وتُشبع حِرمانه، ليس لديها عهد زواج حتى تحفظه مع أحد، غشاء بكارتها مثل الولاعة، ولا تهتم به من الأساس، إنما فكرة إطار المتعة يجب أن يكون زواجًا وليس هكذا؛ فهذه ليست مشكلتي، هذه مشكلة من يكتب، هذا الذي أنا نفسي لا أعلم من هو حتى

obeikan.com

الآن، وهذا شيء بدأ يكون سخيفًا وغير مفهوم أكثر من اللازم.

- دعك من هذا الحديث أيها المعتوه، مالنا ومال نوال والكاتب، ادخل في الموضوع، كن كاتبًا، دعك من الإسهاب، بل تطرق للأفعال، هُم يعشقون الأفعال في السرد، دعك من الحكي والوصف والأسماء، رص أفعال كما القوالب تبني جدارًا متينًا.

- أليست المفروض هذه رواية، ويجب أن أفند الأحداث وأصف المشاعر وأرسم الأماكن والأشكال.

- "كل المفروض مرفوض"، فهمت يا حمار!.

- أها فهمت.

أنا مُرهق مَحطوط على مِقعد، وأمامي يجلس مكتبًا، نتسامر كثيرًا أنا وهو في صمت عن كينونة الجماد والحي وأيهما أبقى.

أنا أقول له الأحياء يسعون للموت، وأنت على ماذا تسعى، فيرد مصححًا إن الأحياء يسعون للحياة، لا تصطنع الفلسفة، ولا تُصَنِج الكلمة مثل الناقوس المزعج، لا تقحم حروف الموت (م و ت) في كل جملة، لأجل أن تصير عميق الغموض وجدير بالفكرة، فالحياة هي المَسعى والمجرى شئت أم أبيت، الحياة هي المسعى، أتعلم لماذا؟،

فأرد وأقول لماذا؟ فيقول لأن الحياة هي التي سقطت في بئر تجربتها، المُتعة تلذذتها في جوف الأنثى، والأنثي هيت بك، أفي الموت أنثي؟

تباً لي أنا أتكلم مع مكتب، هذا فعلاً ممل وغبي.

دخلت نوال، هي لا تطرق الباب.

"في حالة بره يادكتور، أدخلها امتى؟"

أمرتها أن تدخلها بعد خمس دقائق، رتبت المكتب من هرجلتنا أنا وهي عليه، كوب مياه مندلق ومقلمة مسكوبة وأوراق معطوبة من الجلوس عليها، عبث لكني أعشق العبث وأعشق المكتب، "نوك.. نوك.. نوك" طرق على الباب ثم دخل وأغلق الباب خلفه بهدوء، الجو برد أشعلت سيجارة، عادة من يزور عيادة طبيب نفسي يشعر بالحرج من ساعة حجز الكشف ثم عندما يدخل وينتظر يشعر في نفسه أنه مجنون، وأن جميع الناس في الشارع يعرفون أنه ذاهب عند طبيب نفسي، والبواب على العمارة يعرف أنه آتٍ عندي، هذه هي سيكولوجية الإنسان؛ عندما يخجل من شيءٍ يعتقد أن الجميع ينظرون على هذا الشئ فيه، ولكن هذا اختلف عن الآخرين؛ فلم يكن محمر الوجه أو خجول الطلة.

كان شابًّا طويلاً نسبيًا تقريبًا مائة وثمانون سم، يرتدي بنطال جينز ثلجي، وحذاء رياضي أبيض، ومن أعلى سويت شيرت يعتمر الكابجو

الخاص به، يغطي به رأسه، ذكرني ببطل مسلسل Mr .robot "
رامي مالك" ستايل غربي، يدل على ثقافة غربية، الشرقيون متكبرون
عندما يخنعون لذوقٍ ما وثقافة ما، أفهم من سكات أنه متأثر بها جدًا
لدرجة أنه احتقر قديمه.

ابتسمت له وهو يتمشى نحو المكتب ونحوي ليجلس، ونبدأ الجلسة
بصورة عادية جدًا، ينظر للأرض ولا يريد أن يرى ابتسامتي
المصطنعة، هو حر، أنا لا أريد أن أخيفه، كل ما يجب عليك كطبيب
نفسي هو الاحتواء من أول لحظة لآخر لحظة في عملك، جلس على
الكرسي المُقابِل لي، جلست وفتحت الأوراق التي جهزتها نوال عن
اسم المريض وسنه وعنوانه، نوال ليست تمرجية، بل هي أقرب إلى
أخصائي نفسي بالنسبة إليَ، فأنا نفسي أعالج نفسي عندها أحيانًا.

اسم المريض : رؤوف محسن غابر.

السن: ٣٠ عامًا.

العنوان: ٣٣ ش ناصر حدائق القبة.

الشكوي: صداع نصفي مستمر.

أغلقت البورشور، وهو لم يتنفس بـ ولا كلمة، نظرت له وقلت:

"إيه أخبار الصداع دلوئت يا أستاذ رؤوف"

فرد عليَ:

"ليس على ما يرام".

هدرت مني ضحكة بسيطة، وأنا أقول في عقلي "ليس على ما يرام، شكلك مجنون خام والقعدة هتطول"، تمالكت نفسي وقلت.

"أنت بتحب تتكلم فُصحى كده مع كل الناس؟!"

بعدما سمع سؤالي وجدته يقف من على المقعد وأدار لي ظهره، أصبح ظهره مقابلاً لي وشرع في خلع الكابجو، وهنا تقنيًا تقززت، عندما خلع الحجاب الذي كان يغطي رأسه وجدت الرجل له وجه غير مكتمل في مؤخرة رأسه، الرجل له وجهان، والوجه الآخر ملتصق في قفاه، ههه، أول سؤال ضاجعني هو كيف يحلق رأسه هذا الرجل.

تبًّا للحشيش!

لكن هذا كان حقيقة وليس حشيشًا، رجل بوجهان رد عليَ وقال وهو لا يزال يعطيني وجهه المزروع في قفاه، فمه الذي في قفاه لم يتكلم بل فمه الذي في واجهة جسده، فخرج الصوت كأن أحدًا آخر في الغرفة يتكلم إلينا.

"من كتبنا نحن الاثنين أراد أن يصنع جديدًا فجعلني فصحى وصورك عاميًا".

....

obeikan.com

obeikan.com

لا يوجد في هذا الكون امرأة عادية.

obeikan.com

obeikan.com

كوك دور

١٤

كانت الحادية عشر صباحًا، أصرّت بشراسة ليالي أن تُوقظني، زَعقت وصِحت فيها، لم أرد أن أستيقظ في هذا الوقت المُبكر، لا أعلم لماذا من الأساس أتحمل هذا العبث منها، تتدخل في حياتي كأنها فيروس متطفل غرضه ليس الحياة بل العكننة، وأنا لا أقدر على منعها من هذا، لَحُوحة ومثابرة بطريقة غبيّة في فرض ما تريد عليَ، "اصحي يايحيي، عملالك مفاجأة"، كررتها حرفيًا ما يزيد عن ٩٩ مرة.

هي أسوء من منبه خشبي قديم رتيب مُزعج يرنّ كالذبابة العملاقة في أذن فيل حساسة، قُمت شتمتها وسببتها هي ومفاجأتها، فابتسمت بطفولة "أخيرًا قمت يالا بقي يا شطور، روح اغسل وشّك، والبس عشان نازلين"، قالت هذا وهي تلفح عنقي بالمنشفة، هي مُستفزة أكثر من يربوع يتلعق لأسد لا يقدر على اصطياده، باردة أكثر من صباع عارٍ

في القطب الشمالي، طفلة أكثر من طفلة، بل والمستفز أكثر أن ليالي تعاملني على أنني طفل!

ليالي الهطلة تعاملني أنا على أني طفلها!، لا تسمع سبِّي وقذفي، لا ترى سوى طفلاً وأحيانًا رضيعًا، أكثر من مرة أكون جالسًا كالمعتاد ألعب PES ٢٠١٣ بدون مُقدمات تأتي أمامي، وتجلس على قدمي، فيصبح نهدها مقابل رأسي، تُخرج الأيمن ذا الحلمة الأكبر تُلقمني إياه كالرضيع، وهي تُهيل رُقمَتُه الوَردية بسبَّابتها والوسطى، ويدها الأخرى تضغط على خلفية رأسي بخفة تقربها للنهد، وتنظر لأسفل نحو لثمي وهو يمضغ ويمتص، هذا يحدث كشيء عادي مع ليالي، تفعل هذا لمدة دقيقة ثم تقوم تسحب ضِرعها، تضعه داخل الجراب تكمل ما كانت تفعل في انسيابية وتلقائية، دون ملمح مكسوف أو وجة هائج، هي تفعل هذا لمجرد..

لا سبب، لا أحد يعلم لماذا تفعل ذلك بهذه الطريقة، حتى هي نفسها لا تعلم لماذا، الفكرة هنا لا تتعلق بجنس أو شهوة أو تشويه نفسي، الفكرة أنها تعتقد جديًا أنها تبنَّت شخصًا، مشاعر مُختلطة ما بين أمومه مُرتجة تريد أن تنطلق نحو الحرية والوجود، وعِشق لهذا الشخص الذي هو أنا، ورغبة طفلة في اقتناء طفل بلاستيكي تمشط له شعره، تريد أن

تدلف إلى منطقة الصديقة التي لم يدخلها أحد من قبل عندي.

وما يُزعجني أنها تتجاهل أخطائي نحوها بطيبة حقيقية مُستفزة، حينما أفعل الشر وأصل معها لمرحلة الإهانة، تتلافاها كأنها محارب ساموراي ماهر يقدر على مراوغة سهام العدو المنقوعة في السم، تستطيع أن تشعرني أنني لم أقل شيئًا من الأساس لدرجة أني أفكر هل هي سمعت إهانتي أم لم تسمع، أم أن صوتي كان مبحوحًا ومنخفضًا، هل كرامتها موجوعة؟ أتساءل وهي لا تجيب، لأنها لو أجابت ما فعلته سيصير واقعًا وحدثًا قد حدث، لكن الحقيقة أن كرامتها لا تُمس، هي فعلاً تعتبرني لم أقل شيئًا، لا ترى سوى ما تريد أن تراه، ولا تسمع سوى ما تريد أن تسمع، من الآخر... المسكينة قررت أن تعشق.

- على فكرة هي ليست مسكينة بل أنت المسكين.

- اخرس! ألا تستطيع أن تخرس؟ الخرس.. أتعلم ما الخرس، الذي هو أن لا تُعلق، ولا تتكلم، ولا تَفتي، ولا تفتعل الشغب، ولا تتفلسف، ولا تتفزلك، ولا تظهر أساسًا يا حيوان يا ابن الحيوان في هذه الرواية مرة أخرى، اسمع فقط، فهمت؟ اسمع فقط.

- لا لن أفعل.

-أتعلم أنك غبي، أنت بشع ببساطة أنت "ب ش ع"، يعني بببششششعععع.

- أنا هو أنت.

- إذًا تبًا "لي" إيها الكلب!.

بعدما استيقظت وصرخت، غسلت وجهي، وخرجت من الحمام فوجدتها قد حضرت القهوة، شربت القهوة، قهوتها لذيذة بنت الكلب.

ارتديت ملابسي أنا وهي، وقالت لي.

"تحب تسبقني أنت على محطة (مترو المؤسسة)، ولا تحب آخد أنا توكتوك وأنت عربية ومركبش عربيات خالص ولا هاننزل ازاي؟ أنت الراجل قرر أنت."

فقلت.

"ليه طب ما نركب عربية أنا وأنتِ عادي؟!"

فقالت.

"والناس ؟"

فقلت

"مممممممم"

هذه الفتاة صداع في دماغي من أين رُزقت بها لا أعلم.

"خلاص أنا هانزل قبلك بخمس دقايق، علشان محدش في الشارع يشوفنا مع بعض، واستناكي في الموقف، تعال ناحيتي واركبي أي عربية رايحة المؤسسة وأنا هاركب وراكي"

نزلت من الشقة وتمشيت حتى موقف "أحمد عرابي" وانتظرتها وأنا أدخن سيجارة وسط سائقي سيارت الرمسيس، أحدهم شاب نزيه الملبس، يضع على شعره ربع طن مادة شفافة تجعل خصل شعره تلمع وتنتصب مثل شوك القنفذ، يرتدي سلسلة فضية ضخمة وخاتمًا فضيًّا في الخنصر، اقترب مني وهو يخرج سيجارة كيلوبترا من علبة مريت "ولاعة يا برنس؟".

لمحتها آتية فرميت السيجارة استعدادًا لركوب السيارة (الرمسيس) القديمة قدم ديناصور من حقبة العصر الطباشيري، حتى الآن لا أعلم كيف هذه السيارة تمشي، أنا أدعوها السيارة الزومبي، سيارة عبارة عن جسد شبة حي، ومؤكد أنه ميت، أعضاء السيارة الرمسيس أحيانًا كثيرة تكون خارجها وليست داخلها الكلاكس والأسلاك والردياتير، كل هذا خارجي وليس داخليًّا، دائمًا ألاحظ المجهود البدني الذي يبذله السائق وهو يحرك المقود يمينًا أو يسارًا، تشعر أنه يتعارك معه كأنه يلف على عنقه حبل مشنقة ثخين، السيارة الرمسيس سيارة أصيلة.

ليالي وهي آتية لم ألحظ من قبل أني لم أرها بملابس خروج، وهذه هي المرة الأولى التي نخرج فيها معًا، كانت حلوة، ملابس الخروج أظهرت سِنها الصغير، هذه الفتاة حقًا ملاك... ملاكٌ شرير.

اقتربت ودلفت داخل السيارة الرمسيس، اختارت آخر مقعد، فدخلت خلفها وجلست بجانبها على آخر مقعد، ودخلت خلفي سيدة سمينى ترتدي عباءة سوداء، وحجابًا أسود وتمسك ببوك أسود، لولا وجهها المكشوف كنت قد حسبتها ذبابة عملاقة مثل تلك التي تخرج من فم عنتر الذي قتلته، باقي السيارة من ركاب اكتملوا، فجاء السائق ذو الشعر المرصع بالرهط، ونظر ليتمم على السيارة وهو يشرب السيجارة التي اشعلتها له من قداحتي، ثبت نظره عليَ أنا وليالي ثانيتين ثم قال وهو جاد:

"مينفعش يا برنس تقعد ورا في أخر كرسي مع الآنسة، بَدِل أنت والحَجة"

كل من في السيارة نظر للخلف، لا لشئ إلا ليروا من هي الآنسة التي رضيت أن تأخذ آخر ركن في الزنقه بجوار شاب.

تنَّحت فيه مثل كبش يستعد للنطح حتى الموت في سبيل قيادة قطيعه واغتظت من لهجته وليالي ارتبكت وقلت وأنا أرفع يدها اليسار التي

فيها دبلتها بيدي اليمين.

"المدام، مدام مش آنسة".

نفعت الحيلة، ولجِّم مثل حمار "الكارو" لسانه، أغلق الباب وذهب ليجلس على كرسي المقود، ولكن الذي عكنني أكثر بعدها أن الحاجَّة التي كانت تجلس بجواري طول الطريق عيناها تريد أن تلمح يدي اليسري التي هي ناحية ليالي هل هي فيها دبلة أم لا، كانت تنظر كأنها مراهق يَختلس النظر على رَدفي زوجة عَمُّه الجديدة.

*****

لم أعلم إلى أين تأخذني حتى وصلنا لمحطة مترو "محمد نجيب"، وسط البلد، مشينا من باب اللوق لحد شارع الفلكي، وعلى ناصية الفلكي كان مطعم "كوك دو" نظرت هي لوجهي، تنتظر فهمي أن هذه هي المفاجأة، وأن الآن يجب أن أبتسم ثم أحتضنها ثم أقول لها وأنا منبهر:

" أنتِ ازاي كدة؟!".

أنظر على المطعم وأنا أضع السيجارة في فمي فقالت هي "ها ايه رأيك؟" نظرت لها بقرف ضحل الملامح، وأنا أرمي السيجارة بظفري،

ونفخت الدخان في وجهها دون رد عليها، ثم دخلت المطعم دون النظر إليها أساسًا، وهي خلفي، ركَضَت خطوتين حتى حصلت خطاي أمسكت بكلتا يديها في رسغي، ودخلت معي.

كوك دور مطعم لطيف أكثر ما يعجبني فيه الديكور، كلاسيكي غربي يشبة المطاعم الأمريكية التي تكون في الHigh Ways، كنبتين جلديتين صغيرتين متقابلتين بينهما طاولة خشبية بنفس لون الكنبتين، ظهرية الكنب عالية فتوحي أنك في كابينة مخصوصة أنت ومن معك، لا ترى من أمامك، أو من خلفك، وهم لا يرونك، يوحي بالخصوصية، وهذا ضنين أن أجده في باقي المطاعم، أو الكافيهات الخاصة والعامة في ذات الوقت .

اخترت مكانًا وجلست أنا الأول، فوجدت ليالي لم تجلس قبالتي بل زحفت بجواري وجلست، استغربت كالعادة، ثم لم أبالِ، صارت تتكلم وتعيش اللحظة أنها فتاة طبيعية تخرج مع حبيب في موعد غرامي، أرمي أذني لها، وهذا كافٍ، هي تحب أن تتكلم، بل هي لا تتوقف عن التكلم، أحيانًا أتخيل أنها لِسان وخُلق لَهُ جَسد، أنظر إلى قائمة الطعام، فوجئت أنها تعرف تقرأ بصوت عالٍ أسماء الأكلات الصعبة التي أنا نفسي لم أعرف ما هي، قلت لها ضاحكًا:

"طب ما أنتِ شاطره أهو"

ضربتني بخفة على كتفي...

"أنت فاكرني جاهلة أنا خريجة تجارة على فكرة"

فقلت لها مستفسرًا:

"دبلوم يعني؟!"

فردت بجدية:

"لا طبعًا بكالريوس تجارة جامعة القاهرة، أنت فاكرني جاهلة يايحيى؟!"

اتقمصت، لم أبال بنكدها، لكني اكتشفت أني لا أعرف عنها سوى شكل جسدها، كانت عندي رغبة مُلِحة أن أسألها سؤالاً جوهريًّا: "ايه اللي رماكي الرمية السودة دي مع عنتر؟"، لكني لم أعتد على ذلك، حتى معها التي صارت تقريبًا أقرب الأشخاص الحقيقين بجواري.

"ومين قال اللي واخد دبلوم جاهل، ما علينا شوفي هاتطلبي إيه علشان أنزل أدفع الأوردر"

اختارت طلبها، فقمت حتى أطلب الأكل من الكاشير، وأنا أنزل إلى الطابق السُفلي وجدت واحدًا من الموظفين في المطعم، يتربص خلف

obeikan.com

عمود يكمن وسط المطعم وينظر لاثنين؛ رجل وسيدة، مخطوبين، يظهر عليهما كبر السن نسبيًا، لكن دبلتيهما موجدتين في يَمينيهما، الرجل والسيدة كانا متحابين جدًا، والسيدة كانت تمسك في أصابع الرجل بإصبعها، وتداعب يد خطيبها في رهف فتاة صغيرة، ويتكلمان وهما مقتربين جدًا بعضهما لبعض، والرجل الموظف لازال يتربص بهما وينظر ويراقب ماذا يفعلان، دون أن يلاحظاه هما، نزلت أنا، ونزل هذا الموظف خلفي، أنا طلبت الطلبات وهو ذهب لمدير المطعم، تقيأ بعض الكلمات في أذنه فقام مدير المطعم ليرى، كنت أنا حينها أيضًا انتهيت من الدفع وأخذت الشيك، هُما أمامي يصعدان الدُرَج وأنا خلفهما، جلست بجوار ليالي بعدما سألتني لماذا تأخرت، المدير والموظف صارا يراقبان الرجل والسيدة ماذا يفعلان، أنا تركيزي مصبوب معهما، وليالي تريد أن تجذب انتباهي بسؤال سخيف.

" انت مسألتنيش إيه هي المفجأة اللي محضرهالك؟"

جاوبتها دون أن أركز معها، كنت أنظر إلى المدير وهو يقول للرجل والسيدة إن هذا لا يليق بالمطعم، وأنهما ينبغي أن يجلسا مثل التماثيل.

" يحيى، ركز معايا هنا... أنت مسألتنيش إيه هي المفاجأة"

قالت ليالي، وهي تعدل وجهي بكفها ناحيتها.

فقلت بتلقائية.

"إيه هي"

فقالت ببهجة رهيبة شعرت بها من سؤالي

"أنا حامل منك".

...

obeikan.com

obeikan.com

مُملين هم العُقلاء

obeikan.com

obeikan.com

١٥

من كتبني شاعِرًا

فتح الباب دون أن أطرق عليه، نظرت له كأني رأيت نجمًا سينمائيًّا مشهورًا لأول مرة في الطبيعة، نظرة بها رهبة واحترام وعدم تصديق اللحظة، أعطاني ظهره ودخل الشقة دون أن يرحب أو يقول أي شيء سوى بضعة دخان زائد تركهم من آخر نفس نفخه وهو يفتح الباب، أعتقد أنه بهذه الطريقة قال لي تفضل دون أن يتكلم.

شددت من أزري وجمعت شتاتي، أنا آتي هنا لهدف واحد وهو قتل هذا الرجل.

سأقتل هذا الرجل

سأقتله

نعم الآن سأقتله

ها!!! !!!

هرشت في رأسي وأنا جلمد مثل جرانيت إنساني، قدماي تخشيان الدخول في حضرة هذا الهذا، شعرت أني ملاك، والآن سأدخل حضرة الخالق، لكنه ليس الخالق بل هو مجرد خالق، عظيمة هي "ال"، طمأنتني وطمأنت نفسي وأنا أقول هو ليس " ال " هو ليس " ال" كررتها وأنا أدخل العتبة، هو مُجرد كاتب مجرَد من " ال"

هو ليس "ال"

هو ليس "ال"

هو ليس "ال"

دخلت عالم من كتبني، وبصراحة لم أتوقع كل هذه الفانتزيا الخلقية التي أبدعها، كنت أعتقد أنه كاتب واقعي ناضج، وأكبر دليل هو أنا، عشت زمان خلف زمان، لم أشعر أنني غريب، ولم يشعر أحد بغرابتي سوى عدم تغير شكلي مع مرور الزمن.

جميع الكُتَاب يقدرون الواقعية، وعنف الحدث الحقيقي، وفائقته المنطقية، لا أحد يحترم الغرائب، يلصقونها إما في الطفولة أو السطحية، إنما هو شعرت أنه يحتفظ بفنتازيته وطفولته السردية في هذا المكان.

الباب أُغلق خلفي وأنا مثل "العيل" الصغير، فغرت فاهي ناظرًا على

obeikan.com

ما كان بديعًا في شقته.

هو جالِس مُقابل البَاب في واجهتي مثل الهصور، مِقعده لم أر له مثيلاً لا في الكتب ولا في الحكي، فهو كان يجلس على عرش من العيون المبقورة، عيون كثيرة دون رموش أو جفون، مثل الكوريات الصغيرة كل عين منهم، لم أقرف من هذا، بل سحرتني العيون وألوانها، نظرتُ إلى واحدة منهم، كانت مقلتها في صفار الصحراء، بها بؤبؤ أسود أشعرني أنه بئر فَدْفَد مردوم من الذكريات السوداء لأحدهم، عَرش رهيب من عيون وعيون، شعرتُ أنه يَرى كل شيء من خلال هذه العيون، شَفت عيونه شَهوتي، العَرش نَظرني وفحصني ومسحني، حركني نحو اليمين، غرفة بها كائنات.

تبًا لا!

فعلاً لا!

إنه المسخ "رؤف محسن غابِر" الرجل ذو الوجهين، الذي لديه وجه زائد في قفاه. رأيته وهو يجلس على باب الغرفة، فنظرت خلفي للكاتب، لم أكن أتوقع أن أجده هنا أثناء قتل الكاتب.

"أتعلم ماذا يكون رؤوف؟"

قال لي الكاتب الذي كتبني وهو يجلس على عرشه العيني، فقلت له

متوجسًا من سؤاله:

- لأ

فقال لي:

" رؤوف هو جيجا الخاص بي، بكر هزيمتي ضد البَدَاعة.. أردت أن أكون غير الجميع، مثلي مثل الجميع،

ركز معي في هذا سأقولها لك مرة أخرى.. لو كان الجميع يريد أن يكون غير الجميع إذا فهو مثل الجميع، أتفهم؟"

هززت رأسي، وأنا أصطنع الفهم على ملامح وجهي بجدية، واضح جدًا أنها غير جدية، ثم أكمل هو:

"في البداية أردت أن أصنع شيئًا جديدًا، جذابًا، شيئًا يجعل من هذا الفتى أعجوبة الأعاجيب، شيئًا يجعلني أعظم كاتب في تاريخ الخالقين، فأنت تعلم أن الأمر أصبح مُبتذلاً، والجميع يكتب، والجميع ينشئ جديدًا، والجديد فعالٌ لكنه ثقيل يجعلك ككاتب تتحدى مقاييس ليست هي المقاييس التي تريد أنت من داخلك أن تكونها فعلاً. فاهم؟"

فهززت رأسي وأنا أصطنع الفهم على ملامح وجهي بجدية مرة أخرى، لم أكن أعلم أنه "رطاط" أو كثير الكلام هكذا، كنت أتخيل أن اللقاء

سيكون دراماتيكيًّا، سأطبق عليه أطوق عنقه بيدي أخنقه حتى يذبل ويموت وأخلص منه، أو أطعنه بسكين في رقبته فينفر الدم من شريانه مثل ماسورة مجاري مكسورة في شارع عرابي، لم أتوقع أن الأمر بهذه العادية، وأنه شخص مثله مثلي تمامًا، بل والحوار الذي قرر هو أن يديره كسر حاجز أنه من كتبني وجَبَلني وهذا الخطل، بل شعرت أنه يحتاج لمن يحاوره، يحتاج إليَ.

"رؤوف، هذا الذي تراه جالسًا هناك كئيبٌ ومبهمٌ مثل القرد الذي يتمنى نفسه أسدًا، كنت أتمنى من كل قلبي أن يكون أنت"

امتقعت ونظرت بقرف له ولـرؤوف، وأنا اهزهز رأسي ببطءٍ يمينًا ويسارًا متبريًا من هذا النسب الكتابي الذي لفَّقني داخله.

"لم أقصد أنه أنت بالمعنى الحرفي، لكني كنت أتمنى أن تكون أنت بطلي بدلاً منه"

تفصيله من بعد إجماله جلب اهتمامي، فتكلمت ونطقت واستغربت صوتي وأنا أتكلم في حضرته، كأني كنت أخرسًا وهذه هي المرة الأولى فيها التي أسمع صوتي بهذه النغمة وليس فحيحًا.

"بس جيجا أنا مزودتش فيه وِش، جيجا كان هيكون بطل جميل لولا إن خبرتي في الكتابة قليلة لكن إنت مشوه وشه خالص، والأفظع

أنك مشوه نفسه."

تبًا! ها أنا مرة أخرى أتكلم بالعامية كالطفل في حضرة سُقراط، فاغتظت جِدًا وسَألته.

"أنت ليه بتخليني أتكلم بالعامية، كلامي بيبان هزل ومفهوش حكمة، أنت ليه بتعمل كده، أنت وكلكم حتى صوتي بيتكلم فصحى، ليه خليتني كده أنا حاسس نفسي قليل وكلامي مش مسموع، مع أن عندي كلام كتير فلسفي أنت نفسك مكتبتوش فيا."

فقال:

"هههههههههه، وما الذي يضايقك في هذا، أتقول الجبلة لجابلها لماذا جبلتني؟!"

فقلت:

"بس ده بيخليني مجهول وغير مفهوم، بيخليني مُمِل ومُصطنع، بيخليني زي ما أنت قلت ضحية التجديد، أنا بحس إني كِتاب ومَكتوب ضحية أفكارك غير مفهوم"

فقال وهو يعدل جلسته في اهتمامٍ ليرد ردًّا أشعرني من لغته الجسدية أنه مُهمّ.

"دعني أوضح لك أمرًا، الكتابة يايحيى"، صمت برهة وهو يؤمممممم ثم أردف برتابة:

"الكتابة تشبة الرجُل الصعب، كلما كان الرجُل صعب المنال كلما تهافتت عليه النساء، أتعلم لماذا؟ لأن سُمعة الرِجال هي الخِيانة، وعندما تجد أنثى رجلاً صعب المنال تعتقد أن مثل هذا ليس خائنًا، لأنه يعرف كيف يتحكم في جسده، هكذا أيضًا الكتابة يجب أن تكون صعبة المنال في الفِهم حتى تصير مع الوقت رجُلاً تتهافت عليه النساء."

نظرت له باستحقار شديد، قسمات وجهي شعرت بها تريد أن تحجل من موقعها وتقذفه شتيمة:

" على فكرة تشبيهك معفن، ومش منطقي، أنا يمكن أكون قليل خبرة، بس على الأقل مُدرِك أن الصعوبة مش هي مقياس الجمال، مش لازم أكون مجهول ومُبهم وبتكلم بقوافي علشان أكون جميل ومقبول"

فابتسم ابتسامته المستفزة الباردة الثلمة مثله، وقال لي وهو يُتكئ ظَهره بارتياح على ظَهرية عرشه:

" أذًا فلتُسمعني أنت ما هي مقاييس الجمال في الكتابة؟"

تلبَّكت من طريقته وثقته في نفسه، أن أتعامل مع من كتبني هو شبه التعامل مع مدير شركة مُستَبد، كبريائة لن يسمح له بالاعتراف بأي خطأ، بل وإن حدث خطأ سيُليقه على عاتق الآخرين وليس على كتفه هو.

"أنا شخصيًّا معرفش ايه هي مقاييس الجمال في الكتابة، بس اللي أعرفه إنها مش الصعوبة وعدم الفهم، على الأقل من حقي أنا كمكتوب أكون فاهم نفسي، مش عايش ديمًا مُنفَصِم ومَكسور، شَايف مكتوباتك شكلها ازاي، شايف رؤوف بص وشوف"

قلت له وأنا أشير إلى رؤوف الذي كان ينظر لنا في بؤس تنين ذكر مَخصي حديثًا:

"رؤوف جالي العيادة قبل كده تعرف ليه؟ ببساطة لأنه حَزين، هه أنت أكيد ممكن تستقل باللفظ ده، عارف يعني إيه حزين، الحزن ده هو جحيم النفس، شعور بياكل في النفس باستمرار، وكل ما كان سببه مجهول كل ما كان علاجه مُستحيل، الحزن ممكن يكون لفظ مبتذل الناس بتقوله كتير، بس هو فعلاً أسوأ شيء في الحياة، الغني بيدور على السعادة والفقير والقوي والضعيف، الغبي والذكي، حتى الغريزة نفسها بتدور على السعادة، سر الحياة اللي احنا فيها دي هي سرقة

أكتر لحظات سعادة مُمكنه قَبل النِهاية.

مسألتش ليه نفسك في يوم إيه اللي استفاده رؤوف لما انت عملت منه مَكتوب حزين، مُعقد، مُكتَئِب، مُتوحد، لمجرد إنك ترضي غرورك في الكتابة، مسألتش نفسك إيه اللي بيحس بيه هو مع كل حرف بتقراه جواه من ألم وتعاسة واستنزاف ومُعَانَاة، السبب اللي أنا عايز أفهمه هو أنت بتعمل كده فينا ليه؟ بتستفاد إيه من الكتب دي، بتستفاد إيه لما تكتب لفظ صعب ممكن يخليني كمكتوب في أشد الحاجة للموت والنهاية، وفي نفس الوقت النهاية مستحيلة لأنها في إيدك، في حين إنك ممكن تكتب لفظ تاني يكون جواه فرصة إني أبقي عادي، حتى لو حبيت أموت نفسي مش هاقدر، طعنت نفسي بسكين، الطعنة كانت بتوجع والموت كان بيبعد، جعلت مني بيت للسرطان والألم واستمتعت بمنظري، وأنا بشم المورفين لمجرد أنك عايز تنفذ شيء في دماغك، وأنا مش بموت أنا مجرد شخص بيتألم بس، أنت بششششششششششعععععع"

نظرته اهتمت بما كنت أقوله، احتدت عينه وغضبت، بعدها رَفَت وانهارت بدمعة فرت كاليمامة وقت الشروق من على جبل الكرمل، ثم تكلم، تكلم بجدية وصراحة، صراحة!

"أنا شاعر، وهذا ما يحدث عندما يكتب شاعرٌ رواية، أنا مثلي مثلك

obeikan.com

أيها الوغد مكتوب وموعود بالموت، لكني لا أراه، كلنا هنا هكذا، نسعى لهذا الشعور باللاشعور، بالسكينة، برمي الذنب من فوق أعلى تلة في المجرة، بشنق الضمير بأمعاء العقل والمنطق، لكني صُورت شاعرًا وكُتبت شاعرًا، أتعلم ماذا يحدث عندما يكتب الشاعر رواية، هذا هو الذي يحدث، رؤوف الذي أنت أخذته مثالاً،

عبث وقَهر وألم واستغاثة من جوف محيط في لحاء زهرة تطير على ظهر الموت بأربع أجنحة، وكهل ينكح نفسه في رحم قطة تأكل أسدًا مسعورًا بفم يَلوك اللحم كالعلكَةُ.

أترى التشبيهات؟!

الشعر تشبيهات تنتهك الواقع فكيف لها أن تتعبد في مَصلى الوَاقِع؟!

أنا شاعر كل ما أريده أن أكتب بيتًا جميلاً بعده بيت أليم بعد بيت شجين وبعده ثم بعده، أكون حُرًّا، أنت ولدت كي تكتب رواية، أنت أحمق لا تعلم المُعَاناة التَي يُعانيها شَاعر يَكتب رواية،

هذا في حد ذاته نوع من أنواع معاناة المستقل، كأنك سَجنت الحُرية في مَحبَس الذُل، الرواية تَذبح الشَاعر في قَلبه، لن تفهم هذا أيها الأحمق، لن تفهم، هذا لأني شاعر أيها المعتوه، الرواية حُكم على الشاعِر بالشلل، يجب أن تربط حدث بحدث، (يجب)، أترى كلمة

(يَجِب) الشِعر ليس فيه (يَجِب)، لأنه لن يحاكمك مكتوبك مثلما يحدث الآن. لكنك حمار لن تفهم، لأنك لست شاعرًا، لن تشعر لأنك كذاب خُلقت كي تَروي قِصصًا بِها تُريد أن تَموت، أترى التَّرَدِّي الذي أنت فيه، العالم كله يريد أن يهزم الموت، وأنت تريد أن تهزم الحياة، بكذبة، بتأليفة تنهي حياتك، أنت تريد أن تموت."

سئِمت منه، سئمته مثل جليسة أطفال بدينة لا تفعل شيئًا غير أنها تثقل على مستأجرها، كلامه حطامٌ فوق رُكام، يتكلم ثم يتكلم، القرف الذي أشعر به الآن ناحيته تضاعف، صار لديَّ نفس الإحساس الإنتقامي نحوه، وهذا جيد، الإنتقام شيء جيد، شيء يُريح النفس مثل الموت بالتمام، إنما الغُفران لا، ليس كما يقولون أنه يجعل الحياة أسهل، هذا يمكن أن يكون حقيقيًا لكن ليس معي، ليس مع شخص عاش كثيرًا، ليس مع شخص إذا غَفَر سيندم أنه غَفَر، الندم على الغفران أحيانًا يولد شعورًا أسوأ من الإنتقام، لن أغفر لكاتبي، لن أغفر مهما حدث.

سألته وأنا أنظر في عينيه بكراهية عظيمة، شبه كراهية الشيطان للحقيقة، عيني كانت تطق شرارًا وشراذم كادت أن تحرق شقته، وهو يرى غيظي بملل ولا يجيب؛ بل فقط يصمت.

"جاوبني ومن غير ما تهرب من الإجابة بسؤال، خليك مُباشر وبلاش

شغل العقارب، أنت خلقتني ليه؟ واشمعنى أنا؟"

رخى ملامح وجهه ثم ابتسم هذه الابتسامة الكلبة، الحقيرة، القذرة، التي تنم عن استخفافه بسؤالي.

مرة أخرى وجدت صدري ينفس شهيقًا وزفيرًا من الغيظ، كأني رهوان يركض في نهر عذب ماؤه ثقيل، فوضعت يدي خلفي استعدادًا لأخرج سكيني، نعم سأقتل، هذه المرة مع سبق الإصرار والترصد، سأقتل من وجدني لأنه لا يستحق الحياة، من يستهزئ من ألمي، فهو لا يستحق الحياة، حتى لو كان هو سبب حياتي.

"يا بُنَي، أنت لازلت تُكرِرها مرة بعد أخرى أني أنا من كتبتك، لكن من قال لك إني أنا من كتبتك من الأساس، أنا لم أكتبك يايحيى، لذلك ليس لديّ إجابات لك، ولذلك أنت تراني مراوغًا لأني لستُ أنا من كتبك، أنت تريد أن تعتقد أني من كتبك، لأنك تعبت من البحث، لكني فقط أنا سعدت لأني وجدتك، سعدت لأنك تسمعني، فالكاتب دومًا يسعد عندما يجد من يسمعه."

تبًا! هذا ما كنت أخاف سماعه، أنا كنت متوقع ذلك فعلاً.

تبًا!..

تبًا!..

تبًا! ثلاثمائة وعشرون مرة، ها أنا ذا أبكي، وهو يراني أبكي مثل الطفل، أشهق ويرتج حجابي الحاجز متقطعًا كأني سيارة فرغت بطاريتها، هذا أسوأ ما سمعت، أنا لا أريد هذا.

مهلاً مهلاً، ما هذا "هههههههههههه" كم أنا غبي، وما الذي أكد لي أنه ليس هو من كتبني، أنا ما صدقت أني وجدت كاتبًا، ألِمُجرد أن يتنصل هو مني يعني ذلك أني لستُ مكتوبه؟ إن كان هو حيوانٌ يستعرُّ مني فأنا لن أتنازل عن حقي في الموت مثل باقي المخلوقات، يجب أن أعلم الحقيقة كاملة، وببساطة سألته السؤال العادي، الذي بحكمته جعلني أسأله، نعم! فأنا أفهم صنف الكتاب هؤلاء، هم يستحوذون على الذهن بالأسئلة والإجابات، يسأل سؤالًا يفتح به تفريعة في عقلك للاستنتاج فمثل الناموسة تذهب إلى الضوء حتى تكتشف أنها مجموعة بساتين من المتاهات المميتة أُلقيتُ فيها دون مُرشد.

سألته من إذًا الذي كتبني، فضحك بن الحذاء، مستهترًا وقال ومن قال إنك مكتوب، أليس ممكنًا أنك تكون مرسومًا، فشاب في مثل هذا الجمال هو بالطبع مرسوم.

يُهزر بن الصرمة، أنا في عز غضبي، وهو يستظرف بثقل دم خرتيت

ذي مؤخرة سمينة، أخرجت السكين وذهبت ناحيته وهو يقعد على عرشه التافه.

مكتوبه لم يدافع عنه، رأيت رؤوف وهو ينظر إلينا، وأنا فوق جسم الكاتب، أخرجت سكيني ووضعته عند زاوية عنقه، غازًّا السكين في جلده غزةً بسيطة تؤلم ولا تجرح، لازال ينظر هو إليَ بنظرة لا تعرف الخوف، نظرة لا مُبالاة، ينبغي أن يكون نقيض لفظ "الخوف" هو الـ "لامبلاة" وليست "الشجاعة" أنا رأيت شجعان يخافون، بل الشجعان يحاربون الخوف في كل حين، حتى لا يمتلكهم مثل العاهرات، إنما اللامبالي هو شخص في الـ " بلالا " لا يعرف ما هو الخوف من الأساس.

لم يقاومِ، ومكتوبه الآخر أيضًا لم يقاومِ، بل قام رؤوف ذو الوجهين واقترب ينظر ما الذي يحدث كأنه يُشاهد فيلمًا سينمائيًّا شَهيًّا، سألته وأنا أكز السكين في عنقه مُهددًا إياه، لكنه صار يضحك، الغبي صار يضحك بالتدريج ضحكة بسيطة ردفت من فمه ببعض اللعاب المتفول، ثم الضحكة بدأت تستمر، ثم بدأ ضحكه يصير هيستيريًا لدرجة أن عنقه صار ينزف إثر إحتكاكه مع السكين من هزهزة رأسه وهو يضحك.

مشهد الدم النازف لم يُرعبنِ، بل حَفزني مثل العفريت في المِصبَاح عندما داعب المحظوظ سطحه، كنت آمُرُه أن يقول لي من الذي كتبني وهو مُستمر في استفزازي، هو يستمتع بن المجنونة بالذي أفعله به، لذلك حتى أُرسل له رسالة جدية، غرست السكين في كتفه غرسة قدوم في بُرضة فَلاح صَبي الصحة، فصرخ صرخة عالية، استمتعت بها أخيرًا، فغرست السكين مرة أخرى في وركه دون مُهلة، لن أدعه يأخذ نفسه، سأضعه في مثلث برمودا من الألم المبرح حتى يرى الألم تكرارًا لا نهائيًا تذكارًا مني له قبل الفناء.

صرت أنا أضحك، بل وسمعت أيضًا رؤوف بدأ يضحك كثيرًا عليه وهو يتألم بعد كل غرسة بالسكين في جسمه، عنتر أيضًا العفن أبُو ذباب ينضح من فمه وأنفه وجدته حولي هو الآخر يُكركِر مثل الأخرق العبيط، مجانين والله! كلكم مجانين! أخرجتموني من طقس الدراما، لكنه هو لم يضحك، الألم غلب اللامبالاة، وهنا عرفت شيئًا جديدًا أن سبب اللامُبالاة هو الألم، لذلك فلن يكسر هذه اللامبالاة المترسبة في النفس سوى ألم أكبر، جيدة مثل هذه الأفكار في الكتابة، "تعمل شُغل في الرويات"، قلت لعنتر أن يحفظ هذه الفكرة لأجلي حتى أدوِّنها في روايتي عندما أستدعيه، فهز رأسه وهو يردف قرقعة نهيقة كأنه يتذكر نكتة سخيفة أثناء جنازة ميت، تضاجعه في دماغه حتى يضحك غصبًا

وسط الصمت والحُزن...

مسكت نفسي عن الضحك وأنا أقول في بالي "ياولاد الكلب كفاية عايز أركز في القتل" والكاتب يرانا نحن الثلاثة، أنا ورؤوف وعنتر روح القتيل، ويُركز بغيظ عليَ، أنا الذي جاء دوري حتى أستفزه، وأمرته أن يقول من الذي كتبني إذا كان هو لم يكتبنِ، فقال لي وهو مكسور "ابحث عن أكثر شخص يحبك في هذا الكَون، هذا هو الذي كتبك لأن غريزة الكاتب تجعله مُغرم بالمكتوب حتى لو المكتوب حقير ومُختَل مِثلك"، جاوبني هذه الإجابة التي لعبت الشطرنج مع عقلي، وكشَّت الملك فورًا، وفكرت في ذاتي، إذًا لماذا قال رؤوف أن كاتبنا هو الذي فعل ذلك، جعلك عامِّيًّا وجعلني فصحى، الموضوع الآن أصبح فعلاً مربكٌ في عقلي، لكني مازلت أضحك وأغرس السكين لا إراديًا في جسده، وهو يصرخ كأني أدغدغه بسكينة، هزار غشيم، "هزار جزارين" قال عنتر روح الجُثة، لَكني لا أتوقف، لأول مَرة أشعر أني مَكتوب، أفعل أشياء لا إراديًا، أريد أن أتوقف عن الضحك بُرهة لكن هذا لا يحدث، والكاتب لا يكتب الآن، لكنه تكلم وهو يتألم:

"أيها الغبي، من كتبك كان يُضَللك، نَحن لسنا سِوى أشخاص فَرعية فِي قِصتك، أنت البَطل في رواية كَاتبك ونَحن الكُومبارس، مِثلما

أنت الآن كُومبارس في رِوايتي ومكتوبي هو البطل، أنت لا ترى سوى نفسك لأنك أنت نفسك، لا أحد يرى سوى نفسه بطلاً، أنت مركز الكون عندك، لذلك كاتبك تلاعب بك أيها الأحمق".

لازلت أسمعه وأضحك ورؤوف يضحك، كلامه ليس حكيمًا، في الأخير غزغزته في عُنقه، الدم صار ينفر، وأنا أضحك ورؤوف وعنتر يضحكان، ولاد المجنونة، والكاتب أسفل مني يشحر ويشخر من فمه دماءً غير شُريان عنقه الأساسي الذي يوصل الدم لدماغه، نفر الدم في وجهي كأنه خرطوم في مزارع توشكى التي كانت تأتي صباحًا في صباح الخير يا مصر مع نشيد الأرض الخضراء..

"صحيح ؟!، هو فين توشكى دلوقت؟!"

اوووه يااااا ااااايايايايااااا، الإنتقام هذا لذيذ، لذيذ إلى أبعد الحدود، أنا أستمتع الآن، الصراحة في ساعة قتل عنتر لم أكن أستمتع، إنما هذه المرة فأنا فعلاً مستمتع، مشهد الدم رائع، الرجل تدمر جدًا تحتي، اوووو يععععع، أَجِسْم الانسان يسع كل هذه الدماء؟!، حقًّا الكاتب أصبح شبه "الطمطماية" الأدمية، وأنا أيضًا وجهي وملابسي كُلها صارت باللون الأحمر ويداي من كثرة الدم الذي تجلط عليها صارت لزجة باحمرار يميل إلى السواد، رؤوف صار يقفز مثل الطفل حولي

obeikan.com

وهو يكركر ويكركع ويضحك، مبسوط جدًا ابن الهبلة أني قتلت الرجل، فرحان فيه، رؤوف هذا عندما جاءني العيادة كان روثًا مفروزًا من أمعاء حُزن عميق تمخضه جبل الشجن، يكفي أن كل وجه من وجهيه كان يستطيع أن يشيع الكآبة في عشرة أشخاص يرونه فورًا، أنظر له الآن وأنا أقتل كاتبه، وأراه يطفر مثل الطفل العبيط وهو فرحان، أحلى شيء في الإنتقام أنه يسبب السعادة لبعض الأشخاص، الإنتقام يُشعرك أن الأمور باتت في نصابها الطبيعي، أن الأمن مُستتب، والظلم باد، الانتقام يُشعرك بالحرية، ويجدد مثل النسر شعورك بالقوة والأمل، نعم فالانتقام يعطي الضعيف أمل.

أخذ يبصق بصقات متقطعة من الدماء تخرج من أنفه وفمه، من كثرة غزي داخل عنقه السكين لدرجة أنني تقريبًا نحرت عنقه لكن عن طريق الغزغزة بالطول وليس بالعرض، طريقة أفضل في العذاب.

اهتديت بعدها وقُمت مِن على جَسده بَعدما أسلم روحه ومات، لكنه لم يغفر لي لاحظت هذا في عينيه الميتة، من أسوأ خمس مشاعر يحس بها الانسان هي عيون ميت كانت تُدينه، شيءٌ يُشعرني أن الأوان قد فات، والذنب سينتقم بدلاً منه فيَ، فحزنت بل حزنت جدًا كنت أعتمد على غفرانه بعد انتقامي منه، أعتمد جدًا أنه سيُسامحني وسيقدر

ألمي منه، لكن عيون عرشه الميتة الكثيرة لم تسامحنِ، بل كانت تريد أن تنتقم هي أيضًا مني فخفت، خفت من الإنتقام الذي زرعته فيه، النقمة بذرة طبيعية جدًا، عندما تذرعها ستنتج شجرة بها الكثير من ثمار الإنتقام والثأر.

العيون كشَّافة وفضَّاحة، مثلها مِثل النور، ضحكي استحال إلى حزن، بل إلى خوف في ساعتها، ارتعبت والسكين في يدي وتذكرت كلماته أن من يحبني هو من كتبني، دون فطنة الأمر مكشوف من كتبتني هي "ليالي"، كانت بجواري طوال الوقت، ولم ألحظ ذلك، لا أعلم أعدم ملاحظتي لها لأني غبي؟!، استقليت بها ولم أتوقع أنها هي الأصل وأنا الصورة، أم أن هي من فعلت ذلك بي، هي التي ضللتني، تبًا للخوف والرعدة اللذان أشعر بهما الآن! تبًا تبًا! أنا أبكي مرة أخرى، أنا أسحُّ ماءً من وجهي، أشهق وأنا أنظر للكاتب، وأرى ليالي في مخيلتي.

عيني وعقلي كلاهما يريا أنه شيء مقيت اسمه تداخل المهام الوظيفية لأعضاء الإنسان، فيه يصير الواقع شبه الحلم؛ رؤى متداخلة جزء منها حقيقي وجزء منها خيال، لكن الشعور يكون حقيقي، لأنه يحدث عندما يكون الانسان مستيقظًا، كمية الخوف التي دخلت قلبي كبيرة، أنا فعلاً مجنون، ما هذا الذي فعلت، خرجت من الشقة نحو ليالي، وأنا أردد

كلمة واحدة باكيًا.

أنا آسف! لم أكن أعلم لمن أتأسف، لكني ظللت أركض على السلالم ثم من بين الناس في الشارع ثم إلى ليالي وأنا لا أقول إلا شيئًا واحدًا وهو "أنا آسف".

obeikan.com

الغرام ليالٍ والحياة ليالٍ،

والموت ليلة واحدة.

obeikan.com

obeikan.com

بداية النهاية

١٦

رَمَحْت إلى ليالي مثل الولد الذي ضربوه العيال في الشارع، فجرى نحو أمه ذات الأثداء الكبيرة، فينغمس من الحسرة داخلهم، حينها وسط اللغط المحيط بي، شعرت فعلاً بالعلاقة ما بين الكاتب والمكتوب، شعرت بالاحتياج لها، ليست المسألة مسألة دافع غريزي يُلقيني نحوها، إنما الثقب الأسود الحقيقي الذي كان يستشري داخل وجدي هو حاجتي إليها، كنت أقاومها لأن كبريائي كان يعلم هذا! أنني أحتاجها! وكلما كنت أشعر بالاحتياج كنت أشعر بالضعف، أشعر أن الوحدة ليست هي الملاذ كما كنت أتخيل، إنما هي ليست هروبًا من الواقع.

فتحت الباب، ونبرت بصوت خفيض مخضوضة "يحيى"، كنت أبكي وملموس بالدماء، كأنما مسني شيطان، وأغرقني داخل بالوعة دماء، سحبتني للداخل فورًا وهي تحتضني، وتفرك يدها خلف ظهري، تُهدئني، وهي تقول:

"بس ياحبيبي بس"

لا أستطيع أن أُوقف دموعي أو شهقتي في حضنها، لكن هذا لم يُنسِني

أنها هي من سببت كل هذا هي التي كتبني، هي التي خلقتني، أليست هي أكثر واحدة أحبتني!.

دفعتها وأنا قبيح، كنت حينها قبيح النفس، مثل لوحة جميلة ذابت ألوانها فتداخلت فيما بينها، مُخلفة عاهة ما بعد الجمال، أزحتها فوقعت، وهي ليست مرعوبة مني، لا تخاف قبحي بل كانت حزينة عليَ، أول مرة في حياتي أسمع عن امرأة لا تخاف رجلاً ملطخًا بالدماء، أهذه هي الثقة العمياء؟!، أكيد فهي الآن عمياء، بكت مثل طفلة رأت والدها حزينًا يبكي فحزنت لحزنه، لم تبكِ من فِ على لها، هي فعلاً مُستَفزَة، فأنا لم أتخيل الملائكة قط إلا على صورتها، أجبرتني أن أقرن هيئتها بهيئة الملاك، كنت أعلم أنها حامل، لكني لم أكن متأكدًا أنه مني، لكنها تؤكد أنه ابني، هل المكتوب يستطيع أن يُنجِب؟!، لم أسمع بهذا من قبل، لكني مُضطَر أن أصدق فهي لا تكذب.

"أنتِ اللي كتبتيني؟"

صرخت فيها بصوت عالٍ منتقم، لم أسمح لها أن ترد، غضبي أعماني كالعادة، ركعت على قدمي، ومسكتها من كتفيها، وصرخت فيها مرة أخرى:

"كتبتيني ليه؟ هاااا... ليه؟! جاوبيني وقوليلي ليه وأنا هاسيبك"

وهي لا تقاوم، بل تبكي فقط على منظري، وما أفعله معها، أعشق دموعها، عندما تبكي لا أقدر أكبح عاطفتي نحوها، أنا أعلم أنها أنثى، والأنثى عمومًا تستخدم هذا السلاح "عمال على بطال"، لكني لا أعرف كيف أردعه.

"اهدى يايحيى، مالك يا حبيبي بس فيه ايه؟"، لطمتها على وجهها فورًا.

" أنا عايزك تموتيني دلوقت"، وتركتها مثل المجنون أبحث عن الرواية.

"فين الرواية، فين الرواية؟" كنت أردد هذا وأنا أقلب الكراسي، وأنظر تحت الكنب، دخلت المطبخ وأنا أردد أيضًا "فين الرواية، أنت بتكتبيني فين؟ فين الورق اللي بتكتبيني فيه؟"

خرجت من المطبخ وهي لازلت منكمشة على نفسها تبكي مما أفعله من جنون، خرجت من المطبخ بسكين أخرى وجريت نحوها ملهوفًا، وضعت السكين في يدها وهي ترتعش وقلت لها:

"يالا اقتليني، أنا مش هاموتك، بس أنا عايزك تقتليني دلوقت."

بكت أكثر وأكثر، كانت تستغرب أفعالي وكأنها لا تعلم عن ماذا أتكلم، وانهارت وصارت ترتعش بصورة كبيرة، لكني لم أستسلم، بل صرت

أهزها وأخضخض فيها حتى تفيق، وأنا أحاول أن أضع السكينة في يدها وهي لا تريد أن تمسك السكين وتبعد يدها، وأنا أحاول أن أسيطر على يدها بالعنف، وهي تقاوم حتى بالتدريج فقدت الوعي.

تركتها، استحرمت أن أُوقظها فتراني هكذا مرة أخرى، دخلت في كل شبر في الشقة، أبحث عن الرواية التي أنا مكتوب بداخلها لكني لم أجدها، لدرجة أنني دخلت الحمام، بحثت أسفل الحوض، بحثت بين الأسمنت الأبيض الذي يفصل السيراميك لعلها تكون اختذلتني.

في وسط بحثي وجدت حنفية الاستحمام، فتحتها، خلعت ثيابي ونزلت أسفل المياه، في كل مكان.

المياه رمز التطهير، عندما لمستني القطرات متتالية عرفت أن كل قطرة تمثل جنديًّ تطهير مرسل إليَ خصيصًا من الماسورة الرئيسية للشارع، المياة امتلكتني وأحاطتني، بل احتضنتني مثل دوامة تسطل راكبها، دماء الرجل ذهبت نحو البلوعة، ثم إلى المجاري، حاولت بقدمي أن أمنع الدماء من الذهاب إلى المجاري لكن المياه أخذت الدماء وزاغت، وقالت لي اترك نفسك لي وأنا سأطهرك من كل الدماء، فقط لا تعد تفكر في هذه المواضيع الآن، وأنا مثل المسحور سمعت الكلام.

خرجت من الحمام، وجدت ليالي لازلت فاقده لوعيها، ارتديت ملابس كنت قد حولتها من شقتي لشقة ليالي، ثم ذهبت نحو التسريحة، وضعت بديل الزيت وسرحت شعري بمشط التفريغ، وضعت Axe مزيل العرق، الصراحة رائحته أفضل من البارفانات المضروبة، هندمت نفسي ونظرت في المرآة وجدت كل الحبايب خلفي، أمهق، وعنتر، وأنا، والكاتب، ورؤوف حتى زموخ الحرباء كان خلفي معهم.

نظروا لي جميعًا وقالوا

"ما رأيك! هل تريد أن تلعب مثل زمان؟ هل تريد أن تسترجع الأيام الخوالي؟"

فضحكت وأنا أنظر لنفسي بإعجاب في المرآة، وقلت لهم وأنا أرتدي النظارة الشمس:

"نبدأ منين؟"

فقال زموخ الحرباء "من المترو"

*****

مثل هذه القصص لا تتم

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com